مذكرات
إسماعيل ياسين

منير محمد إبراهيم

الجمعية المصرية
لكتاب ونقاد السينما

كتاب السينما 38
أكتوبر 2022

رئيس مجلس الإدارة
الأمير أباظة

رئيس التحرير
أحمد كامل

سكرتير التحرير
هبة شوقي

تنفيذ
محمد حسن

تصميم الغلاف
محمد الشوربجي

عنوان المراسلات :
الجمعية المصرية لكتاب
ونقاد السينما

9 ش عرابي بالقاهرة
ت: 25780042
فاكس: 25768727
البريد الإليكتروني:
INFO@EAFWC.COM

لماذا «كتاب السينما»؟

اختفى الكتاب السينمائي من حياتنا لنُدرة الباحثين الجادين، وتقاعد الذين كانوا يترجمون من أساتذة النقد السينمائي، ورواده الأوائل في مصر.

ولم تعد المكتبة السينمائية تتلقف من المطبوعات الجديدة إلا الكتب التي تصدرها المهرجانات السينمائية، والتي لا تخرج أحيانًا عن مجرد كتب تحية وتمجيد تكريمية لمن تكرمه المهرجانات من السينمائيين.

وفي الوقت الذي نعاني فيه من ذلك الفقر، نجد العديد من كيانات الثقافة السينمائية تتأرجح بين الاستمرارية أو التوقف.

ولذلك اتجهت الجمعية المصرية لكُتّاب ونقاد السينما لإصدار سلسلة «كتاب السينما»، بوازع من شعورها بالمسئولية الملقاة على عاتقها، من أجل نشر ودعم وتأصيل الثقافة السينمائية في مصر والوطن العربي.

تحية لكل جهد يُبذل من أجل دعم الثقافة السينمائية في مصر، وأرجو أن يكون كتابنا قد وُلد ليستمر بكم، ولكم.

الأمير أباظة

قبل البداية...

احتفالًا بالذكرى الخمسين لرحيل الفنان إسماعيل ياسين، قررت إدارة مهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط الاحتفاء بالفنان الراحل في دورته الثامنة والثلاثين، تلك الدورة التي خصصها المهرجان للفيلم الكوميدي وصناعه.

ولما كان النجم الراحل من أهم أيقونات الكوميديا ليس في مصر وحدها، بل في الوطن العربي، فقد قررت إدارة المهرجان تكريم اسمه خلال حفل الافتتاح، وتقديم كتاب عن مذكراته، والتي نشرتها مجلة الجيل الجديد مسلسلة في الأعداد من ٩٦ الصادر في ١٩٥٢/١٠/٢٦ حتى العدد ١٠٦ الصادر في ١٩٥٤/١/٤، في إحدى عشرة حلقة – والمذكرات وثيقة مهمة عن كفاح الفنان إسماعيل يس، وبتقديم منير إبراهيم في العام ٢٠٠٢.

الأمير أباظة

مقدمة

يثير الفنان إسماعيل ياسين بحق حالة خاصة متميزة في رحلة الفن المصري، فهو الفنان الذي مضى على رحيله أكثر من ثلاثين عامًا، ومع ذلك يزداد على مر الأيام تألقًا وشهرةً وبريقًا، وتتسع دائرة المستمتعين بفنه فتشمل الملايين من مشاهدي التليفزيون والفيديو، سواء الصغار أو الكبار، وأصبحت أفلام إسماعيل يس التي تعرضها التليفزيونات العربية متعة للمشاهدين وتحظى بكثافة مشاهدة عالية غير مسبوقة.

إنه فنان متفرد في حياتنا الفنية، فقد قدم أكثر من مائتي فيلم سينمائي، ومع ذلك لم يكرر إسماعيل يس نفسه ولم يتحول إلى شخصية نمطية ثابتة في كل أفلامه، فهو يقدم في كل فيلم ما هو جيد وجديد، فقد كان يُعرض له أحيانًا العديد من الأفلام في وقت واحد في أكثر من دار عرض، ومع ذلك أقبل المشاهد على هذه الأفلام، حيث كان المشاهد يرى إسماعيل يس جديداً في كل فيلم، فهو يمتلك موهبة وحضورًا غير مسبوق وتوهجًا في كل أعماله السينمائية.

عندما ظهر إسماعيل يس لأول مرة كمونولوجست كانت الساحة الفنية تضم عمالقة فن المونولوج ورواده حسين مليجي، سيد سليمان.. إلخ، ورُغم استمرار عطاء هؤلاء العمالقة أصبح إسماعيل يس بحق مونولوجست مصر الأول.

وكان منذ بداية اشتراكه في النشاط السينمائي فنانًا مبدعًا، وقد وصفت إحدى الدوريات المصرية – مجلة الكواكب- دوره الصغير في فيلم الطريق المستقيم من إخراج توجي مزراحي أنه من الأدوار التي لا تُنسى.

تنقل إسماعيل يس من نجاح إلى نجاح حتى أصبح من أهم نجوم السينما المصرية، كما أصبح القاسم المشترك في أفلامنا في الأربعينيات والخمسينيات، وكان وجود ومشاركة إسماعيل يس في أي فيلم مؤشرًا على نجاح هذه الأفلام جماهيريًا وقدمت السينما المصرية العديد من الأفلام التي تحمل اسم إسماعيل يس .

وفي عام ١٩٥٤ حدث منعطف مهم في رحلة إسماعيل يس الفنية، إذ امتد نشاطه ليشمل أبو الفنون «المسرح» فكون فرقته المسرحية التي تحمل اسمه بمشاركة زميل رحلة الكفاح أبوالسعود الإبياري، والتي ضمت نخبة من كبار نجوم الفن في مصر، كما كانت من أنجح الفرق المسرحية في تلك الفترة فنيًا وجماهيريًا ويكفي للتدليل على نجاح الفرقة أنها قدمت ما يقرب من خمسين مسرحية خلال اثني عشر عامًا فقط ١٩٥٤- ١٩٦٦، وهى كل عمر الفرقة وقام بكتابة جميع مسرحيات الفرقة شريكه أبوالسعود الإبياري.

وقد رأت إعادة تقديم مذكرات إسماعيل يس وهى المذكرات التي نشرتها مجلة الجيل الجديد مسلسلة اعتبارًا من العدد ٩٦ الصادر في ٢٦/١٠/١٩٥٢ حتى العدد ١٠٦ الصادر في ٤/١/١٩٥٤، في إحدى عشرة حلقة – والمذكرات وثيقة مهمة عن كفاح إسماعيل يس، وكيف أنه عرف الجوع والحاجة وكيف توج هذا الكفاح بالشهرة والمجد الفني. ولقد التزم إسماعيل يس بالصدق كل الصدق وقدم الحقيقة كاملة وهو يقول في مقدمته لهذه المذكرات:

«..... أقدم قصة حياتي من غير ماكياج من غير رتوش بسوادها وبياضها مع حلوها ومرها، نفسي في فقرها وغناها غنى النفس وفقرها... قصة إسماعيل يس الذي عرف الجوع والفقر وذاق كل ألوان الشقا، وقصة إسماعيل يس الذي كافأه الله على كل دموعه ووفقه إلى أن يحقق آماله... « .

وقد ورد بالمذكرات العديد من الأحداث والوقائع والشخصيات التي قد لا يعرف أبناء هذا الجيل الكثير عنها.

وأرجو أن يكون نشر مذكرات إسماعيل يس إحياء لعطائه لحياتنا الفنية، فمثلما نهتم بعرض أعماله الفنية من مونولوجات وأفلام سينمائية ومسرحيات يجب أن نهتم أيضًا بنشر مذكراته الشخصية.

إن الفنان إسماعيل يس خدم الفن المصري أكثر من أربعين عامًا، وأعطى لهذا الفن في فروعه المختلفة أعظم عطاء.

منير محمد إبراهيم

مصر الجديدة

سبتمبر ٢٠٠٢

مذكرات إسماعيل ياسين

١- مجلة الجيل الجديد العدد ٩٦ في ١٩٥٣/١٠/٢٦

٢- مجلة الجيل الجديد العدد ٩٧ في ١٩٥٣/١١/٢

٣- مجلة الجيل الجديد العدد ٩٨ في ١٩٥٣/١١/٩

٤- مجلة الجيل الجديد العدد ٩٩ في ١٩٥٣/١١/١٦

٥- مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٠ في ١٩٥٣/١١/٢٣

٦- مجلة الجيل الجديد العدد ١٠١ في ١٩٥٣/١١/٣٠

٧- مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٢ في ١٩٥٣/١٢/٧

٨- مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٣ في ١٩٥٣/١٢/١٤

٩- مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٤ في ١٩٥٣/١٢/٢١

١٠- مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٥ في ١٩٥٣/١٢/٢٨

١١- مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٦ في ١٩٥٤/١/٤

مجلة الجيل الجديد العدد ٩٦ في ١٩٥٣/١٠/٢٦

مذكرات إسماعيل ياسين (١)

- عرفت الجوع والتشرد والنوم على الأرصفة.

- انصرف والدي إلى الخمر والكوكايين فماتت أمي وتركتني وحدي!

- كنت أعيش أياماً على رغيف عيش بالسمن والسكر!

إلى ولدي ياسين:

عندما تكبر يا ولدي، ستسمع الكثير عن أبيك إسماعيل يس.. ستسمع الجميل والقبيح، ستسمع الصدق والكذب، ولكن أحداً – غيري- لن يروي لك القصة على حقيقتها.. قصة إسماعيل يس الذي عرف الجوع والفقر وذاق كل ألوان الشقاء... قصة إسماعيل يس الذي كافأه الله على دموعه، ووفقه إلى أن يحقق آماله.

أهدي إليك يا ولدي، يا وحيدي، قصة حياتي من غير ماكياج من غير رتوش، من غير فشر... أهدي إليك نفسي بسيئاتها قبل حسناتها بسوادها وبياضها، مع حلوها ومرها... نفسي في فقرها وغناها... غنى النفس وفقرها يا ياسين لا غنى الحبيب وفقره يا ولدي.

أهديها إليك، وإلى كل شاب من الجيل الذي تعيش فيه وكم أتمنى لك أن تعيش سعيداً ومؤمناً لتروا فيها قصة الكفاح وآلامه.. وقصة النجاح وثمنه... واغفر لي يا ولدي زلاتي وضعفي في بعض أيام حياتي... فقد كانت حياتي والله قاسية.. لم أخلق وفي يدي ملعقة من ذهب.. ولكن خلقت لأذوق الحنظل.. فكافحت وتعذبت وفهمت البؤس والصياعة وقلة القوت والتشرد وفي كثير من الأيام كنت أبحث عن اللقمة فلا أجدها، وتحفى قدماي إلى مأوى.. أي مأوى غير الجوامع.. وثابرت يا ولدي، فحلاوة الدنيا بالاجتهاد والمثابرة والعرق.. والله دائماً مع المجتهدين المثابرين المؤمنين.. الحرمان رأيته، والمر شربته، فاتركوني أشرب حلاوة المجهود وأتمتع بلذة الحرمان اتركوني أواسي نفسي على نفسي.

واذكر دائماً أمك يا ياسين.. فهى التي ألهمتني الحياة الجميلة لأنها وهبتني القلب الطاهر.. وهى التي جعلت مني إنساناً ناجحاً. لأنها أحست بوجودي.. ثم جعلتني موجوداً، زوجتي وحبيبتي وأمي.. أذكرها دائماً يا ولدي.. وأذكر أنها سيدة عظيمة..

بدأت الدموع:

ولدي.. اقرأ قصة حياة من يعبدك.. القصة التي بدأت بالدموع.

نشأتي في مدينة السويس من عائلة متوسطة الحال، ناس على قدهم، لا هم فقراء ولا هم أغنياء.. يعني مستورين.

وكان والدي «صايغاً» وله محل يطل على شارع عباس بمدينة السويس.. وكان عنده «صنايعية» من القاهرة وكانت أمي تحبني جداً.. أمي التي عاشت شقية في زواجها، معذبة من زوجها «أبي».. إلى أن ماتت بالسكتة القلبية بسببه.

عندما بدأت أفهم يا ياسين، عرفت أن والدي سكري وعبداً لشهواته، لا يهمه في الدنيا غير النساء الساقطات.

فاقد الوعي:

وكثيراً ما كنت أستيقظ من النوم خائفاً مذعوراً عندما أسمع والدتي تصرخ غاضبة، وتشتم والدي، لأنه عائد «في وش الفجر» في غير وعيه.. وتسلمه إلى والدتي النسوة الساقطات.

وزادت عليها أوجاع النفس، فأسلمت روحها إلى بارئها بالسكتة القلبية، حزناً وكمداً ويأساً من الحياة.. ووالدي كل يوم يزيد من سوء معاملته لها، وتجاهله لكرامتها.. وانزلاقه في شهوات الجسد .

السم الأبيض:

وبعد أن أتت أمي، أصيب والدي بإدمان السم الأبيض، الكوكايين.. فكان الخراب، وأغلق دكانه.. واشترك في متجر صغير مع شريك اسمه محمد خليل.. وهوى يتحطم.

انصرف أبي عن تربيتي، إلى إشباع مباهجه.. وتركني لجدتي.. أم أمي هذه الجدة التي كانت تحقد على أبي وتحتقره وتعتبره المسئول عن وفاة أمي.. أفرغت حقدها واحتقارها في شخصي أنا.. الطفل الصغير الذي لا حول له ولا قوة.. لم أر منها لحظة حنان، بل غضب، وعنف وإذلال..

وكان أبي لا يدري عني شيئاً.. لم يعلم إن كنت نمت من غير عشاء.. أو لم أنم.. لم يعلم أن جدتي كانت تتركني أياماً على رغيف عيش بالسمن والسكر.. حتى كرهت العيش والسمن والسكر..

وعرفت الخوف والفزع:

وكانت تعرضني لمناظر مرعبة مفزعة لا يستطيع أن يتحملها طفل.. أخذتني معها ليلة في الظلام إلى القرافة.. وجعلتني أحمل لها الشيشة و»القفف».. وتهنا في الطريق إلى المقابر، وكان الظلام مرعباً، وفجأة وقفت أمامنا سيارة، وكانت من سيارات الجيش البريطاني أيام الاحتلال.. معنى هذا أننا سنقتل والبلد كلها في ثورة، فصرخت يا ياسين، وعرفت الخوف والفزع لأول مرة في حياتي.. وازداد حقدي على جدتي وبدأت أتمرد على الاستعباد والاذلال، ولكن ماذا في يدي.. وأخيراً سمحت لنا سيارة الجيش البريطاني بالمرور.. بعدما سيبوا ركبي يا ولدي.

هذا هو الاحتلال:

وأقول لك بهذه المناسبة أن السويس كانت محتلة احتلالاً كاملاً من المستعمرين الإنجليز، وكانوا يعتدون على حرمات النساء في المنازل.. وحدث مرة أن أرسلتني جدتي إلى منزل إحدى قريباتها.. وكان أمام البيت «معيز» ففرحت لما رأيت «المعيز» وأخذت أصيح.. معيز.. معيز..

فسمعتها نساء البيت على أنها إنجليز.. إنجليز.. فهات يا صوات.. وصاحت واحدة (منهم)..

ثم صحت أنا: «معيز حمر ومعيز بني» فزاد «صوات» النساء.. حمر وبني، يا مغيث يا مغيث..

وهكذا كان ذكر كلمة الإنجليز يلقي الرعب في نفوس النسوان.. لأنهم كانوا يعتدون على الأعراض.

ومن معاملة جدتي، كرهت المنزل.. وكرهت المدرسة وكنت عاوز أهرب بأية وسيلة.. وكان هربي إلى الشارع دائماً.. وكنا نجتمع شوية أصحاب، وكنت أفرغ لهم آلامي في الغناء.. كنت أرى في الغناء راحة لنفسي.. كنت أتنفس هواء الحنان والعاطفة وأنا أغني.. كنت أستمع إلى محمد عبد الوهاب بالساعات الطويلة وأنسى نفسي.. وأعيش في الأحلام.. ومن هذه الأحلام بدأ أول سطر من قصة كفاحي.

المطرب المعروف إسماعيل يس:

كنت أتخيل نفسي، مطرباً مشهوراً وقد لبست بدلة سوداء، وبيدي العود.. ثم تصفق لي الجماهير.. وأرى صورتي في إحدى الصحف مكتوباً عليها المطرب المعروف إسماعيل يس .

كان «الشربتلي» اللي عند ناصية بيتنا، أعز إنسان عندي، لأني كنت أجلس مع أصحابي ونسمع في محله اسطوانات عبد الوهاب.

طفولتي وطفولتك :

وبدأ أصدقائي يعتبرونني مطرب الشلة.. كلما اجتمعنا طلبوا مني أن أغني، وكان لا يزعجني غير جدتي التي كانت تسحبني بعنف من يدي وتنهرني على هذه «الهيافة» وتأمرني.. أيوه بالأمر.. نام يا واد يا هايف.. يا خايب، وفي هذه اللحظات كنت أبحث عن أبي.. فلا أجده.. فأحمد الله كثيراً يا ياسين، أن لك أباً يرعاك، ويتعذب إذا خدشك النسيم.

إذا توعكت أنت يا ياسين، أسرعت بإحضار أربع دكاترة علشان يطمئنوني عليك.. ومستعد أن أفديك بدمي.. ولكنني في طفولتي يا ياسين.. كنت محروماً من هذه النعمة.. كنت بغير أم ولا أب.. ولا حياة .

واشتركت في جريمة:

ولا أريد أن أخفي عليك ولا على أحد، أنني رأيت أبي يصك (القرشين الفضة) و(الشلن) يعني يصنع نقوداً مزيفة.. وكنت أدرك أن هذه جريمة وكان أبي يعطيني هذه النقود لأصرفها له.. وكنت أطيعه، لأني كنت أتمني أن يرعاني.. كنت أحبه، فلعل أخطاءه هي التي وضعت قدمي في طريق الكفاح..

بدأت أسمع من أصدقائي أنه لا بد لي أن أتعلم الموسيقى في القاهرة وأعمل مطرباً.. فبدأت أحلم بالقاهرة .

واستطاع التمرد أن ينتصر على الضعف في نفسي.. واتخذت قراراً يجب أن أسافر إلى القاهرة.. سأسافر إلى القاهرة .

ولكن أين النقود؟

وكيف أحصل عليها..

ثم سرقت :

ثم وقعت الزلة الأولى، سرقت ارتبكت جريمة، سرقت ستة جنيهات.. من جدتي.. وهربت إلى مدينة أحلامي كان ذلك في صيف إحدى السنين وكنت أبلغ من العمر.. فوجدت معهد الموسيقى مغلقاً.

فأخذت أجوب القاهرة شمالاً ويميناً، وأنا لا أدري ماذا أفعل هل أعود إلى السويس؟ وهل تغفر لي جدتي هذه الزلة؟ وهل سيرضى عني والدي بعد أن هربت منه؟ ثم نفدت النقود.

بنات خالي :

فلجأت إلى بنات خالي، وهما سيدتان، سيدة متزوجة من رجل أزهري كشر واسمها زينب والثانية متزوجة من رج لوكيل محكمة في مصر الشرعية واسمها بهية. وكانوا يأتون عندنا في السويس، معززين مكرمين وكان والدي يقوم دائماً بواجب الضيافة خير قيام.. فقلت هذه فرصة، لكي يقوموا نحوي بواجب الضيافة.

ذهبت إلى حرم الأزهري، فوجدتها تقول لي: إحنا معندناش قرايب اشتغلوا مطربين وكلام فارغ فخرجت من عندها أتعثر في كلامها اللاذع، وذهبت إلى الثانية. ولم أجدها وعلمت أنها سافرت لأن زوجها نقل إلى المنصورة.. فضاع أملي أن أكل، وأين أنام؟ ذهبت نقودي وأصبحت (هدومي) قذرة، وليس على غير بدلة وقميص وحذاء متوسخ.. ثم وجدت المأوى، نعم لجأت إلى ضريح السيدة زينب.

ألف طول النهار وأتسلل في الليل في صلاة العشاء، وأرقد إلى جوار عمود من عمدان الجامع، وعند صلاة الفجر أهرب من خدام الجامع.. وعلى هذه الوتيرة يا ولدي أصبحت كالخدم.. بلا صناعة أتقنها.. وحتى أملي في الغناء لن أستطيع أن أحققه.. وكيف أغني في أي مكان بهذه الملابس الداكنة من القذارة والأتربة.. أما عن أكلي فلا يجب أن تتألم عندما أصارحك بالحقيقة وأقول له أين كنت أكل؟

مجلة الجيل الجديد العدد ٩٧ في ١٩٥٣/١١/٢

مذكرات إسماعيل ياسين (٢)

- اتهموني بسرقة طقم شاي.

- المصلون في الجامع يجمعون لي ٣٢ قرشاً.

- اشتغلت في مكتب محام فطردتني زوجته.

- كانت أجرتي في أول حفلة بدلة قديمة .

هذه المذكرات :

إن الفنان إسماعيل ياسين قد أقدم بنشر هذه المذكرات على خطوة، لم يجرؤ عليها فنان من قبل، لقد نشر صفح حياته كما هي، لم يأنف أن يقول إن والده كان «صايغا» وأنه أدمن المخدرات، فلم تستطع الأسرة الفقيرة أن تعيش.. ولم يجد عيباً في أن يقول إنه كان يبيت في الجوامع، وعلى الأرصفة، ويستعين على الجوع بالنوم.. لقد واجه إسماعيل ياسين نفسه بحقائق حياته كفنان عاش أياماً سوداء حتى حقق هدفه. وهذه ظاهرة هامة وخطيرة، تبدو لأول مرة في الوسط الفني المصري. هو في هذا يتقدم الصفوف في جرأة ليضرب المثل.

إننا نحيي إسماعيل ياسين في ماضيه القاسي، يمثل ما تحييه الجماهير في حاضره الفني اللامع. قلت لك يا ولدي أنني لجأت إلى ضريح السيدة زينب.. لجأت إلى الضريح لأحتمي به من النوم في الطريق على أي رصيف، ولم أشأ يا ولدي أن أقسو على عواطفك، فلم أقل لك كيف كنت أكل.. وكيف كنت أسعى إلى لقمة الخبز، وأين كنت أجدها. ومرة أخرى أقول لك، لا تسلني أين كنت آكل، طبعاً واحد كان يبنام في السيدة حياكل فين.. في الأوبرج؟.. طبعاً لا .

وطردوني من ضريح السيدة .. طردني رجل غليظ القلب، ما زلت أحس بأثر قبضة يده الحديدية على كتفي، وهو يركلني أمامه وأنا أجري إلى الطريق. كان ذلك بعد صلاة العشاء.

ثم قادتني قدماي إلى جامع مراسينة، بحي السيدة، في شارع مراسينة، تسللت إلى داخل الجامع من مدخله الخلفي، وارتميت بجسدي المجهد الهزيل تحت أحد حوائطه.. واستغنيت على الجوع بالنوم.. ونمت لأحلم بأن أمامي طعاماً، وأنني أستطيع أن آكل حتى أشبع. كان هذا هو الحلم الوحيد الذي أتمنى تحقيقه في كل لحظة، وأمعائي تتلوي.. ثم قمت مذعوراً عند

الفجر، لا من هذا الحلم اللذيذ، ولكن من ضربة حذاء.. وأين؟.. في بطني الخاوية!

حرامي.. حرامي :

قمت وأنا أصيح: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وإذا بي أرى أمامي رجلاً بشع المنظر، يصرخ فيمن حوله مشيراً إلى : أهو ده اللي سرق امبارح طقم الشاي!.. هو بعينه.

وهجم على من حوله وهم يتنافسون في لطم وجهي: فين طقم الشاي يا حرامي.. تسرق وتبات في الجامع يا لص..

وهكذا اتهموني ظلماً، شاب شردته الأقدار، واحتمي من قسوة المجتمع ببيت من بيوت الله . ولم يكن أمامي إلا أن أبكي.. متوسلاً إليهم: أنا مظلوم.. أنا مش حرامي.. حرام عليكم.

وصمموا على اقتيادي إلى قسم البوليس.. ووضع مصيري أمام أكثر من عشرة رجال يشهدون علي أني سارق، فلا مفر إذن من السجن، وهكذا سينتهي بي كفاحي الشريف في سبيل مستقبلي إلى أن أصبح مجرماً.. على الرغم مني.

صوت هادئ في السحر :

ولم أشعر بنفسي، وأنا أرفع عيني المبللتين بالدموع إلى السماء وأصيح بأعلى صوتي: يارب.. أنت تعلم أني مظلوم، ومن غيرك ينقذ البريء . وهنا «سمعت صوتاً هادئاً في السحر» يقول لمن أمسكوني: سيبوه ده باين عليه مظلوم. ونظرت إلى مصدر الصوت، وكان رجلاً مسناً تبدو عليه الطيبة، ويبرز الإيمان من ملامح وجهه السمح.. وعرفت أنه شيخ الجامع. فشكرته، ودعوت له.. وارتميت على صدره، وأحسست أنني أحتضن والدي.. ورويت له كل ما حدث لي منذ أن سافرت من السويس، وجئت إلى القاهرة..

فقال لي الشيخ : إذن يجب أن تعود إلى السويس..

قلت له في خشوع: حاضر..

وسكت فقد عرف من قصتي أنني لا أملك مليماً واحداً.. فعاود الكلام قائلاً: وأنا سأعطيك يا ابني أجرة السفر، ولازم ترجع لأبوك. ثم جمع من المصلين في الجامع، ٣٢ قرشاً، وصحبني معه إلى المحطة وقطع لي تذكرة بالدرجة الثالثة إلى السويس..

وسالت الدموع ساخنة على وجهي، والقطار يتحرك من القاهرة، ولأول مرة في حياتي،

أحسست بأن في الدنيا خيراً.. وأن فيها أبراراً.. وأن الخالق يرعي عبده الضائع.

كل شيء إلى زوال :

ونصيحتي لك يا ولدي، وأنا أروي لك بكل صدق، هذه الأيام السوداء من تاريخ حياتي، ألا تكون غليظ القلب، متحجر الفؤاد. كن طيباً مع الناس، عاملهم بمثل ما تحب أن يعاملوك، لا تنس الفقير أبداً، فغنى المادة زائل، والإنسان زائل، ولا تبقى إلا الحسنات..

مصير أبي :

المهم.. وصلت إلى السويس... وقفزت من القطار إلى رصيف المحطة وأنا أجري إلى الشارع متلهفاً على رؤية والدي.. بحثت عنه في محله القديم، فلم أجده!.. وقيل لي أنه انتقل إلى محل آخر بشارع أبو أزبك.. وكانت صدمة عنيفة عندما رأيته يشتغل على «ترابيزة» حقيرة بيديه..

وهكذا انتهى إلى هذا المصير.. بعد أن كان صاحب محل محترم، يشتغل فيه «صنايعية» من القاهرة .

إن صدمة هربي من السويس، واختفائي لبضعة أشهر، ثم مرضي هدت من كيانه، وجعلته جسداً بلا روح.. هكذا قال لي وهو يضمني إلى صدره في حنان، ودموعه تتساقط على رأسي..

ثم عدت إلى القاهرة :

وتعرفت في السويس، بعائلة اسمها عائلة «قدري باشا» في منزل الشيخ إسماعيل الفار وكان لهم منزل كبير في القاهرة، فشجعني هذا على العودة إلى القاهرة.

وصارحت والدي، بأنني أريد أن أعود لأسعى إلى تحقيق أحلامي، وكسب رزقي، وكنت في ذلك الوقت جاوزت العشرين بقليل .

ومن محطة القاهرة، قصدت فوراً، إلى منزل عائلة قدري باشا واستلطفوني جداً، وعاملوني معاملة طيبة وتعرفت بواسطتهم، على شاب ظريف، بوهيمي الطباع، أحس أنني «خفيف على قلبه».. فعرض علي أن أنتقل إلى مسكنه. وهو الأستاذ (....) المحامي.

سكرتير خاص :

وكنت أرافقه كالسكرتير الخاص في كل مكان يذهب إليه. أغني له، وأروي له آخر النكت.. وكان يصحبني معه إلى المسارح والكباريهات ودور السينما، لأنه كان راجل شايف حظه قوي.

وبدأت أرى على المسارح ملوك المنولوجات في مصر في ذلك الوقت سيد سليمان حسن صالح وحسين إبراهيم.. وفي تلك الليالي بدأت نقطة التحول الضخم في حياتي.

كانت أحلامي أن أصبح مطرباً، وأن أغني مثل عبد الوهاب، وإذا بي أجد ميلاً غريباً إلى تقليد المنولوجست.. بارتياد مسرح بديعة في الليالي بدأت أغري الأستاذ المحامي والتي لا يريد السهر فيها، حتى لا تفوتني فرصة الاستماع إلى سيد سليمان كل ليلة .

وعشقت فن المنولوج الفكاهي، وحفظت جميع منولوجات سيد سليمان، وكنت أرددها بين إخواني وبين أصدقاء الأستاذ المحامي، وكانوا معجبين بي إلى درجة كبيرة مما شجعني أن أفكر جدياً في احتراف هذه المهنة.

ملحن هاو:

وساعدني على هذا الاتجاه، شاب من عائلة أحمد بك محرم وكيل وزارة المعارف في ذلك الوقت اسمه حمدي سالم كان من هواة فن المنولوج وكان يعزف على «البيانو» وعرفت هذا الشاب، عن طريق الأستاذ المحامي، الذي جعلني وكيلاً عنه في مكتبه، فكنت أهرب من المكتب إلى حمدي سالم..

وفي ذلك الوقت عرفت الأستاذ أبو بثينة الزجال، وكنت آخذ منه الكلام، ليلحنه لي حمدي سالم، بالمجان طبعاً وكانت أمامي فرصة العمل في محطات الإذاعة الأهلية وكانت هوجة محطة إذاعة فاروق ومحطة فؤاد ومحطة فيولا ومحطة سابو.. وقبلوا إذاعاتي وأحبوني كل الحب، ولكن الظروف شاءت أن تعاكسني من جديد، وخاصة أن الإذاعات الأهلية لا تدفع أجوراً .

عواطف الأستاذ المحامي :

وكانت معاكسة الأقدار الجديدة، مرتبطة هذه المرة بترمومتر عواطف الأستاذ المحامي. كان الأستاذ يحب في ذلك الوقت ويحب مين؟.. مرات خاله. وكان خاله المحترم على قيد الحياة. وكان يأخذني معه في السيارة بعد منتصف الليل، وفي عز الشتا، علشان يزمر بالعربية حول البيت.. وكانت جوليت تنظر إليه من وراء الشيش، بعد أن نكون قد درنا حول البيت سبع مرات .

وكان دمي يفور من هذه المناظر سيدة متزوجة، من رجل محترم، تسعى إلى حب شاب هو ابن شقيقة زوجها.. وما ذنبي أنا، لأكون شاهد العيان. ولكن ماذا كنت أستطيع أن أفعل؟.. لم أقل أبداً تلت التلاتة كام. وإذا تركته، فأين مصيري؟.. إلى الجوامع مرة أخرى .

عمل جديد :

وهكذا قبلت هذا الوضع، لأني كنت في أشد الحاجة إلى الغذاء والكساء. وفي نفس الوقت كنت «ألف» مع حمدي سالم الملحن وأذهب معه إلى حفلة هنا.. إلى سبوع عيل مثلاً.. حتى لف الزمن وتوفى خال الأستاذ المحامي، وإذا به يقول لي: سأتزوج.. – زوجة المرحوم..

وكانت أوامر الأستاذ الجديدة أن أرابط في المنزل ولا أخرج منه أبداً..

– لماذا؟

– أنت تقعد في البيت علشان تراقب الست، وتقولي عملت إيه طول النهار؟!

وبذلك أصدر أمراً بجعلي حارساً قضائياً على السيدة زوجته.

ومن هذا تعرف يا ولدي، أن زواجاً أساسه الصفافير والإشارات واللف في الظلام حول البيوت والبصبصة من الشبابيك، لا يورث إلا الشك.. ولا نتج إلا خراب البيوت.

رقابة حازمة :

وكان الأستاذ المحامي يطلب مني أن أسأل زوجته، إذا نظرت من نافذة، لماذا تنظر... وإذا دخلت الحمام، لماذا دخلت الحمام.. حتى ملت الزوجة هذه الرقابة السخيفة، وقررت أن تنتحر.. وفعلاً اختفت في الحمام، «ودلقت» على نفسها صفيحة من الجاز.. فدخلت الحمام وراءها أجري مرتاباً فوجدتها مثلما توقعت.. فحملتها إلى حجرتها، وألبستها ثيابها، وأنا أعتصر ألماً.. وقالت لي: لن أقبل الحياة مع هذا الرجل.

عودة إلى الشارع:

وفي صباح اليوم التالي فوجئت بالأستاذ المحامي، يناديني ليقول لي بلهجة آمرة: يا إسماعيل.. أنت برة من النهارده.. أنت مطرود، الست مش عاوزاك..

وبذلك انتهى الأمر أن أكون أنا الضحية؟!

وخرجت يا ولدي إلى الطريق من جديد..

وقابلت حمدي سالم الملحن، وشرحت له قصة هذه الخاتمة التعسة، فقال لي: معلهش.. عندي حفلة ليك هذه الليلة.

ونظر إلى وجهي.. وأخرج من جيبه عشرة قروش وقال لي : روح أحلق شعرك وذقنك، وتعال.

وأخذت العشرة قروش، ولم أذهب إلى الحلاق.. بل أسرعت إلى المطعم!..

الأجرة بدلة:

وكانت الحفلة في منزل أحمد محرم بك. ولا أستطيع أبداً أن أنسى كرم هذه العائلة وأصالة خلقها.. أغرقوني بعطفهم وتشجيعهم، وعند انتهاء الحفلة أعطوني بدلة غامقة.. وقالوا لي: إذ وجدت فيها جيباً محروقاً هاتها علشان نصلحه..

وأسرعت بالهدية في يدي إلى خارج منزلهم، وفي هذه اللحظات أدركت أنني أرتدي بدلة الأستاذ المحامي، التي تمزق حجرها..

وأردت أن أرتدي البدلة الجديدة.. ولكن أين أخلع ملابسي؟!. هذا هو الإشكال. في الشارع؟.. مش معقول؟.. في حارة مظلمة؟.. ولكن إذا رآني أحد ماذا يقول.. وخجلت أن أعود إلى شقة محرم بك لأقول لهم أريد أن ألبس البدلة الجديدة. وطرأت في ذهني فكرة.. سأرتديها على سطوح المنزل.. فعدت إلى منزل محرم بك، و»انسحبت» على السلالم، حتى لا يشعر بي أحد، ووصلت إلى السطوح.. وخلعت البدلة القديمة ورميتها بكل ما في يدي من قوة، وارتديت البدلة الجديدة.

الورقة السعيدة:

وأردت أن أكشف عن جيوبها، فوجدت في جيب منها ورقة. ولم أصدق نفسي، عندما وجدت أن هذه الورقة، ليست عادية.. إنها شيء آخر رائع جداً!.. إنها الطريق إلى السعادة.. الطريق إلى الأكل!... نعم فقد كانت ورقة من ذات الجنيه، ورقة تساوي ١٠٠ قرش، عداً ونقداً.. كانت بالنسبة لي كنزاً من الذهب. كان هذا الجنيه هو ماء الحياة عندي.

ولم أشعر بنفسي وأنا أصفق طرباً، وأصيح فوق السطح رافعاً يداي إلى السماء حكمتك يا رب.

ولأول مرة في حياتي استطعت أن أبيت في فندق. نعم فقد ذهبت إلى لوكاندة الحميدية بالسيدة، وكانت أجرة غرفتي ستة قروش.

مجلة الجيل الجديد العدد ٩٨ في ١٩٥٣/١١/٩

مذكرات إسماعيل ياسين (٣)

- كنت أفرش الجرائد لأنام عليها.

- أم حورية محمد تصوب المسدس لقتلي.

- بديعة مصابني تطردني بعد شهر .

ذهبت إلى لوكاندة الحميدية بالسيدة زينب، ودفعت ستة قروش أجرة حجرتي، وبقى في جيبي ٩٤ قرشاً.. ومرت الأيام والقروش تتناقص في جيبي، والخوف من المستقبل يزعجني، ولم يكن لي معين في ذلك الوقت إلا عائلة أحمد بك محرم، التي كانت تشجعني وتنقذني كلما وقعت في ورطة.. ولم تكن ورطاتي طبعاً إلا بسبب الفلوس!

ثم شاء الله أن تفرج..

ألغيت محطات الإذاعة الأهلية وافتتحت محطة الإذاعة الحكومية، فأسرعت إلى المحطة الجديدة طالباً عملاً..

وامتحنوني ونجحت في الامتحان. فاتفقوا معي على أربع إذاعات كل شهر. وكل إذاعة أجرها أربعة جنيهات. أي ١٦ جنيهاً!..

وهيئ لي أنني مليونير بهذا المبلغ .

مش لازم سرير :

ففكرت في أن يكون لي بيت. فأجرت حجرة في منزل متواضع بحارة السيدة. ولكن كان علي أن أشتري أولاً بدلة وقميصاً، وحذاء.. وكان علي أن أسدد بعض الديون التي اقترضتها من الأصدقاء.. وكان علي أن أشتري «سرير سفري» لأنام عليه، ولكن الميزانية لم تحتمل شراء هذا السرير. فقلت في نفسي: ويعني لازم سرير.. مش كفاية أوضة مستقلة.

اختراع جديد:

وكان الجو صيفاً، وكنت سعيداً جداً، باختراع فكرة سرير جديدة . كنت أفرش جريدة الأهرام على الأرض، وأضع الجاكتة تحت رأسي وأنا واضعاً رجلاً على رجل، وأنا أسعد من عبود باشا..

وكنت قبل أن أنام أجلس على الجاكتة وأقرأ جريدة «الأهرام» على ضوء اللمبة الجاز.. وحتى أنتهي من القراءة «يكبس» علي النوم، فأفرش الجريدة وأضع الجاكتة تحت رأسي، وأروح في الأحلام اللذيذة.

الخطوة الأولى :

وكنا في ذلك الوقت في عام ١٩٣٢ واستمرت الأيام تلطشني وألطشها، حتى عام ١٩٣٤، عامان كاملان، شهر فيه إذاعة، وشهر مفيش.. أسبوع فيه حفلة وأسبوع مفيش.. ولكنني كنت سعيداً، بحجرتي الخاوية إلا من «اللمبة الجاز» والصحف.. فقد بدأ الناس يعرفون اسمي من الإذاعة، وأحسست أنني خطوت الخطوة الأولى.

وفي أوائل سنة ١٩٣٤ سمعت عن مكتب للأعمال المسرحية يديره عبد العزيز محجوب والخواجه فيتاسيون فذهبت إليهما أطلب عملاً.

١٥ قرشاً كل يوم :

وقدماني إلى المرحوم يوسف عزالدين في شارع عماد الدين. وبعد أن نظر علي نظرة فاحصة، قال: أنا أشغله بـ ١٥ قرشاً في اليوم.

قلت: معلهش.. هوه أنا ورايا إيه؟..

وكنت أمثل معه في الروايات، وألقي منولوجات.. واستمر عملي معه ثلاثة أشهر، إلى أن وقعت الكارثة.

ثم الطرد:

أثناء التمثيل، «زقني» يوسف عز الدين بيده «زقة» قوية، فوقعت على المسرح، وأصبت في وجهي وفي يدي.. فصرخت محتجاً. وقلت له: ينعل أ... لأبو التمثيل. وطبيعي كان جوابه الطرد. الطرد فوراً.

علاوة ٣ قروش:

فعدت إلى مكتب الأعمال المسرحية فقال لي عبد العزيز محجوب:

- أنت حظك عال.

- خير إن شاء الله .

- حتشتغل، وتصيف كمان.

- مش فاهم حاجة أبداً.

- حتروح يا عبيط إسكندرية .

ثم قال لي أن السيدة حورية محمد تكون فرقة جديدة، للعمل في كازينو- أقصد كباريه- مونت كارلو في الإسكندرية.. فذهبت إليها، وعملت لي بروفة، ووافقت على أن أعمل بها بمرتب خمسة جنيهات ونصف جنيه في الشهر. أي ١٨ قرشاً في اليوم. ماله؟. وحش. عال والحمدلله.. وسافرت إلى الإسكندرية.

المسألة عاوزة عبقرية:

وبعد أن وصلت إلى الثغر الجميل.. بدأت أفكر؟.. خمسة جنيهات ونصف، لأنام وأكل وأدفع ثمن تأليف منولوجات؟.. لا بد أن أكون عبقرياً لأستطيع أن أفعل كل هذا بهذا المبلغ؟..

وأوقعني الحظ السعيد في بنسيون تملكه سيدة يونانية متزوجة من مسلم اسمه سلامة. وصناعته مكوجي بشارع تانيس. وأعجب بي زوجها جداً، وأصبحنا أصدقاء.

وقد استفدت من صداقته كثيراً. إذ كنت في ذلك الوقت أملك «بدلتين» شيك جداً، «يعني مبقعين بالزيت» وكان صديقي يكوي البدلتين والقميص اللي حيلتي كل يوم على الحساب.. والحساب طبعاً أنتم عارفينه لأننا صحاب!

المعلم علي قدح :

ووجدت حلاً أيضاً لمشكلة الطعام، عثرت على مطعم في جوار الكازينو، صاحبه رجل اسمه «علي قدح»، وكان أكله كريهاً جداً. ولكن ماذا أفعل؟.. هل أقول له إن أكله وحش؟.. مش معقول، وأنا عمال آكل كل يوم شكك.. وتقريباً كنت الزبون الوحيد..

أما عن أجرة البنسيون، فكانت صداقتي بسلامة المكوجي، زوج صاحبة البنسيون تعفيني كثيراً من الحرج.. وزاد الطين بلة (على رأى اللي قال) إنني تعلمت السبق! وحذار يا ولدي من هذا الوباء وباء السبق، أنها لعبة حقيرة يلعبها الأغنياء والفقراء معاً. الأغنياء على أنها تسلية، والفقراء على أنها مكسب.. وأنا كنت من الفقراء التعساء.. أقبض من هنا وأحطهم هنا.

مسدس لقتلي!!

وسارت الأمور على هذه «اللخبطة» العجيبة، إلى أن حدثت المفاجأة الجديدة.. كنت ألقي منولوجات على المسرح ثم وقع بيني وبين الأستاذ أحمد صبرة خلاف أمام الجمهور، فتركت المسرح غاضباً ودخلت إلى الكواليس، فعلت أصوات الجمهور تطلبني، وكان المفروض أن تظهر حورية محمد بعدي على المسرح، فظهرت، وكانت تعتقد أن ظهورها سيسكت الناس، وإذا بصياح الجمهور يزداد، والمسرح ينقلب «بالو».. وكنت أنا أخلع ملابس في حجرتي خلف المسرح، ولا أدري شيئاً عما فعله الجمهور، وفجأة وجدت مسدساً مصوباً إلى صدري!!

ومن سيدة:

وكان المسدس المصوب إلى صدري في يد سيدة!! سيدة بدينة جداً، كان يكفي أن تكتم أنفاسي بيدها، ولا حاجة للمسدس.. ولكها صممت على قتلي بالرصاص..

سيد سليمان :

كان اسم سيد سليمان يدوي في ذلك الوقت . كانت هذه السيدة هي والدة حورية محمد، واسمها نرجس مصطفى، وقد غضبت لأن الجمهور سخط على ابنتها بسببي، فأرادت أن تنتقم مني بهذه الوسيلة البسيطة.. القتل!! وتدخل الأستاذ فهمي أماني الممثل في الفرقة، واستطاع هو وزميله المرحوم إبراهيم مصطفى أن يخلصاني من براثن هذه السيدة.. وطبيعي كانت النتيجة الطرد..

كله على الحساب:

وخرجت من المسرح فاقد الوعي، وإذا بعلي قدح صاحب المطعم يطالبني بثمن السم الهاري اللي أنا أكلته.. فقلت له: يا راجل سيبني في حالي.. لما تيجي فلوس، تاخد حسابك. وكان رجلاً طيباً.. وتركني لضميري (إذا كان فيه ضمير).

وعدت إلى البانسيون، وكان في جيبي ثلاثة جنيهات وأربعون قرشاً.. وكان يجب أن أدفع أجرة شهرين و١٤ قرشاً.. فقلت لسلامة وزوجته: لقد طردت، وأريد منكما سلفة تضاف إلى الدين.. فقال لي سلامة: عاوز كام؟

قلت : اثنين جنيه.. وأخرج سلامة من جيبه الجنيهين، فأصبح معي خمسة جنيهات و٤٠ قرشاً. وعلى الفور عدت إلى القاهرة واستأجرت غرفة في بانسيون عند سيدة يونانية بشارع جلال باشا رقم ٦ المتفرع من شارع عماد الدين- وكان ذلك في شهر سبتمبر عام ١٩٣٦.

وقبلت يد الست:

عدت إلى القاهرة، وإذا بجميع الصحف الفنية تكتب عن حادثي مع حورية محمد في الإسكندرية. ولكن ماذا يهمني؟.. أنا أريد أن أعمل. وعلمت أن السيدة بديعة مصابني ستفتح كازينو بديعة (الذي أصبح الآن تياترو ببا) فذهبت إلى هذا الكازينو، ووجدت السيدة بديعة جالسة عند بابه. فسلمت عليها، وقبلت يدها وكان الذي لا يقبل يد السيدة بديعة- في ذلك الوقت- يعتبر من الكافرين ولم أشأ أن أكون من الكافرين!

فقالت لي : أنت مين؟..

قلت في أدب واحتشام: محسوبك إسماعيل ياسين يا ست..

قالت في لهجة آمرة: عاوز إيه؟

قلت وأنا أبتسم: عاوز اشتغل أنا منولوجست كويس والله العظيم.

قالت: أسمعك.. معاك نوته..

قلت: أيوه يا فندم.. حمامة وسمعتني ونجحت في الامتحان فاستدعت بديعة الأستاذ أنطوان عيسى وقالت له: اكتب له كنتراتو يا أنطوان. وكان العقد بمرتب ٨ جنيهات شهرياً.

الست مبسوطة وأنت مطرود :

وبدأت أتحمل، وكنت أريد كل يوم أربعة منولوجات، لم أغير منها شيئاً، وكيف أغير.. والمسألة عاوزة فلوس.

وكان اسم «سيد سليمان»، كمنولوجست في ذلك الوقت، اسماً كبيراً مدوياً، وكان يعمل في فرقة أخرى.. المهم أن السيدة بديعة بدأت تغير معاملتها لي.. ومر شهر.. ثم طلبني أنطوان عيسى ليقول لي : يا إسماعيل الست مبسوطة منك وبتقولك ماتجيش بكره وأعطاني حسابي..

وغادرت الكازينو وفي قلبي كثير من الحسرة.. وكان يعزيني أن الشهرة بدأت تلمع حول اسمي. وذهبت إلى حجرتي في شارع جلال، وإذا بشخص يحضر ويقول لي: احضر حالاً إلى قهوة السكوزمو.. الأستاذ أمين عطا الله عاوز يقابلك.

إلى الشام :

واتفق معي أمين عطا الله وهو رئيس فرقة تمثيلية، على السفر معه إلى الشام بمرتب ١٢ جنيهاً. وبعد الاتفاق بعشرة أيام سافرت إلى لبنان. وكان في جيبي خمسة عشر قرشاً فقط.. وقبل دخولي إلى لبنان، مررت ببلدة «صيدا».. وكان الوقت ظهراً، وكان يجب أن اتغدى. فدخلت مطعماً للسمك، وأكلت حتى شبعت..

ثم سألت: الحساب كام؟

فقال الجرسون: ٦٢ قرشاً!

ولم يكن في جيبي إلا ١٦ قرشاً فقط كما قلت..

مجلة الجيل الجديد العدد ٩٩ في ١٩٥٣/١١/١٦

مذكرات إسماعيل ياسين (٤)

هربت لأن الجمهور صممم على ضربي!

أكلت في مطعم السمك بصيدا، وبعد أن غسلت يدي، ورميت «الفوطة» على المنضدة كأشيك زبون قلت للجرسون:

- الحساب كام؟..

فقال لي: ٦٢ قرشاً يا بك!

وكانت مفاجأة مذهلة، فلم يكن في جيبي إلا ١٥ قرشاً!..

هل أهرب من المطعم؟.. ولكن إلى أين أذهب وأنا معي تاكسي ليوصلني إلى بيروت.. معنى هذا إنني سأذهب إلى بيروت سيراً على الأقدام.

يجب إذن أن أعترف بالحقيقة، وقلت لصاحب المطعم: ليس في جيبي إلا ١٥ قرشاً.. فإيه رأيك يا جميل؟

وأجابني صاحب المطعم إجابة سريعة.. لم يتكلم، ولكنه أمسك رقبتي بكلتا يديه، ولم ينقذني منه إلا سائق سيارة التاكسي الذي أفهمه أنه مكلف بتوصيلي إلى الفرقة في بيروت.. وأنه سيعود ومعه ثمن الأكل.. وهكذا أنقذ السائق رقبتي، بعد أن أخذ صاحب المطعم الـ ١٥ قرشاً التي كانت معي، وهكذا وصلت إلى بيروت وليس في جيبي إلا الستر!

ضمنت الأكل والنوم :

وكان أول شيء فعلته أن سألت: أين يقيم أمين عطا الله صاحب الفرقة فقيل لي: إنه يقيم في بانسيون اسمه بانسيون أم إلياس، التي قال لها أمين عطا الله: اعطي لإسماعيل يس حجرة علي حسابي. فضمنت النوم!

ثم سألت: أين يأكل أمين عطا الله؟

فقيل لي: إنه يأكل في مطعم أبو عفيف.

فهرعت إلى السيد أبو عفيف، وأكلت حتى شبعت، وعند دفع الحساب قلت له: الأستاذ أمين عطا الله.. وكان المفروض أن يبدأ العمل يوم ١٤ يناير سنة ١٩٣٧.. وبدأنا البروفات قبل ذلك بعشرة أيام، وكان يعمل معنا في هذه الفرقة إبراهيم حمودة، وحسن سلامة وفتحية محمود وماري جورج وليلى يوسف، والباقون كانوا من أشقائنا اللبنانيين.

وكان أمر هذه الفرقة غريباً: النوم على حساب أمين عطا الله. والأكل على حسابه أيضاً، إنما مافيش دفع فلوس أبداً! ولا مليم من العربون! وطفح بي الكيل (على رأى المثل) بعد أن طلبت مراراً من الأستاذ أمين أن يدفع شيئاً.. أي شيء.. وكان كل مرة يماطلني إلى بكره وبعد بكره وبعد بعد بكره.. فصممت في نفسي على انتزاع الفلوس من جيبه «الحديدي» بالقوة.. ذهبت إلى صالة الباريزيانا.. وهات يا سكر كونياك على ويسكي على بيرة حتى فقدت وعيي تماماً. ودخلت إلى مسرح الفرقة، وأنا «أتطوح»، فاقداً وعيي وقلت لأمين عطا الله وأنا أدور حول نفسي: اسمع يا راجل أنت.. إذا ماكنتش حاتدفع فلوس.. أنا مسافر مصر حالاً.. فأجابني إجابته الأبدية: بكره يا إسماعيل..

فقلت له: أنت راجل (وذكرت له وصفاً لا تليق كتابته)، وما أن سمع وصفي له، حتى أخرج خمسة جنيهات على الفور من جيبه وأعطاها لي!...

عرش الفنان :

ثم بدأ العمل.. واستمر شهرين كاملين.. وكان نجاحي حديث المدينة.. وكنت أقابل من الجمهور في كل مكان بالإعجاب والتقدير. وإعجاب الجمهور وتقديره بالنسبة للفنان.. هو الهواء الذي يتنسمه.. هو الغذاء الذي يملأ روحه.. هو الأمل المتجدد بانه يوماً سيحقق رسالته.. هو العوض الكامل عن ليالى الألم والكفاح والدموع.. وكان نجاحي خير مشجع لي على الإجادة، والتفوق.

– إن الممثل على المسرح، كملك يجلس على عرشه.. إذا أحبه جمهوره، فقد استقر عرشه في القلوب.. وإذا أعرض عنه جمهوره فقد اهتز العرش من تحته حتى يتلاشى، والفنان الذي يحترم فنه، هو الفنان الذي يحترم جمهوره، فيقدم له إنتاجاً يبذل فيه جهداً يستحق الاحترام، استمر العمل شهرين كاملين، وتجددت حياتي في هذين الشهرين وساءني أن أختلف بعد ذلك مع الأستاذ أمين عطا الله.. لا لسبب إلا لأنني نجحت!.. فقد أحسست أن شعور زملائي في الفرقة بدأ يتحول عني، بعد أن تحقق نجاحي! وبعد أن زاد أجري من ١٢ جنيهاً إلى ٢١ جنيهاً.

وانتهت الرحلة بعد أن جلنا في طرابلس والشام ودمشق واللاذقية وزحلة وصيدا.. ثم عدت إلى بيروت وحلت الفرقة وعملت في الباريزيانا في منتصف إبريل.

عرض جديد:

وطرق باب غرفتي في بنسيون أم إلياس، رجل لم أعرفه من قبل، تبدو من قسماته، الطيبة، ويبدو من صوته الهادئ، خلق هادئ..

قال لي: أنت ما بتعرفني؟

قلت: تشرفنا يا فندم.. أهلا وسهلاً..

ثم قال لي الرجل: إنه معجب بفني.. وبإقبال الجمهور على منولوجاتي وتمثيلي.. ولذلك فهو يريد أن يتعاقد معي.

وقدم لي نفسه : أنه «زكي ضاهر» صاحب ملهى اللونابارك بحلب. وكان العرض مغرياً ٤٢ جنيهاً شهرياً! وهكذا قفز أجري بعد ثلاثة شهور ثلاثين جنيهاً.

وركبت من بيروت إلى طرابلس، ثم انتقلت إلى حلب في «الاتومامتربس» يعني الديزل.. وسكنت غرفة في منزل تملكه سيدة عجوز تدعى بلين.

وقابلت نور الهدى :

وكان ملهى اللونابارك جميلاً .. حديقة واسعة، تتخللها الأشجار المضاءة بالثريات الصغيرة، والموائد الملونة.. وقدمني زكي ضاهر إلى فتاة صغيرة، كانت تغني في ملهاه..

- الفنانة السكندرا بدران.

- تشرفنا يا أفندم.

والكسندرا بدران، هى التي جاءت مصر بعد ذلك، وظهرت نجمة لامعة على الشاشة باسم «نور الهدى».. وقد دعتني نور الهدى إلى العشاء، تكريماً لوصولي..

وفي صباح اليوم التالي، وجدت المدينة كلها مزينة بصور كبيرة لي، وإعلانات ضخمة، عن المنولوجست المصري المعجزة إسماعيل ياسين. فزاد هذا في ارتياحي للعمل في حلب.

كأنهم يستقبلون زعيماً :

وحل المساء.. ووجدت الجمهور قد ملأ الحديقة عن آخرها، ولم يبق هناك موضع قدم. وأمام غرفتي وراء المسرح، وجدت عشرات الطاقات من الورد، كلها من معجبين يرحبون بمقدمي.

وجاءني من يقول لي إن الحديقة كلها لا تتحدث إلا عنك، وكل هذا ضاعف روحي المعنوية، وأغرقني في شعور جميل من السعادة، هأنذا أكرم في بلد أحل فيه لأول مرة، ومن جمهور غير جمهوري في القاهرة. ثم خطوت إلى المسرح..

وما إن رفع الستار.. حتى سمعت تصفيقاً وهتافاً يدوي ويدوي كأنهم يستقبلون زعيماً من الزعماء. ودق قلبي سريعاً، دقات كلها فرح.. وانحنيت أكثر من مرة.. أرد هذه التحيات التي استمرت أكثر من خمس دقائق. ولمحت الأستاذ زكي ضاهر بين الكواليس، وقد امتلأ وجهه سروراً لتحية الجمهور لي.. وقال لي هامساً «مبروك يا استاذ».

الخنجر المسموم:

وسكت التصفيق.. وبدأت ألقي منولوجي الأول.. وانتهى المنولوج.. وبدأت أوزع ابتساماتي على المتفرجين وإذا بي أجد صمتاً مطبقاً!! إلا من تصفيق فاتر من عشرة أيدي على الأكثر.. ثم هدوء، وبدأت أحس كأن خنجراً مسموماً قد أغمد في قلبي.. بل شعرت أن ألواحاً من الثلج قد أحاطت بي، وأخذ العرق يتصبب على جبيني.. ولكني أردت أن أنقذ الموقف.. فألقيت نكتة.. وتوقعت أن الضحك سيدوي.. ولكن شيئاً لم يحدث، بل أخذ المتفرجون يحملقون في وجهي وكأنني أتحدث بلغة غير لغتهم. كأنني أقول كلاماً غير مفهوم.. كأنني ألقي قصيدة رثاء!.. فطلبت على الفور من الموسيقيين، أن يبدأوا موسيقى مونولوج آخر وألقيت منولوجي.. وانتهيت، وحتى السبعة الذين صفقوا لي في المرة الأولى.. لم يجهدوا أنفسهم ليعيدوا الكرة..

يا إلهي.. ماذا جرى؟.. وتمنيت في تلك اللحظات، لو أن المسرح قد انشق من تحتي، لأختفي.. تمنيت أن يسدل علي الستار إلى الأبد.. وخيل لي أنني أسمع هتافاً يدوي يطالبني بالنزول من المسرح.. يطالبني أن أختفي.. ولكن الصمت كان يخيم على المكان.. وكانت الخيبة تخيم على قلبي..

وأحسست أنني شيء تافه:

ثم ألقيت منولوجاً ثالثاً.. وبدأت أسمع هرجاً ومرجاً من المتفرجين.. بدأوا يتحدثون فيما بينهم، كأنهم لا يرون شيئاً أمامهم، وعلت أصوات أحاديثهم على صوتي على المسرح.. ثم أُنزل علي الستار.. وغمرني حزن عنيف.. لقد رأى جمهور حلب «المعجزة» التي تصوروها، شيئاً تافهاً، لا يستحق حتى تشجيعهم بالتصفيق.. ورأيت نفسي في تلك الليلة.. شيئاً تافهاً وعرفت موضع الخيبة.. كانت لهجتي المصرية، غير مفهومة تماماً لهم.. فلم يستطع أحد منهم أن يتتبع ما أقول.. أو يتأثر بما أنفعل منه. ولذلك كان من العبث أن أستمر..

وفي اليوم الرابع، كان جمهور حلب ينظر إلي بعيون تشع منها النقمة والسخط وكأنني

ارتكبت جريمة بشعة ينفر منها مجتمعهم..

معاكسة القرود:

وبدأ الجمهور يقاطعني، وأنا ألقي منولوجاتي.. بألفاظ كلها سخرية بي. وأراد مدير المسرح أن ينقذني من هذا الحرج، فعلق لافتات بين المتفرجين كتب عليها «ممنوع التحدث مع الممثلين».. وذكرتني هذه اللافتة بلافتة حديقة الحيوانات في القاهرة التي كتب عليها «ممنوع معاكسة القرود» .. وخشى علي صاحب المسرح، فالتجأ إلى رجال البوليس لحراسة المسرح خشية أن يعتدي علي الجمهور.

وهكذا انتهى بي الحال، أن ألقي منولوجاتي في حراسة البوليس، وكأنني ألقيها في كوريا!! ونزلت من المسرح في الليلة الرابعة، واليأس يحطم قلبي الباكي من الفشل.. وإذا بأحد المتفرجين يقول لي: يا أستاذ ابقى هات معاك واحدة ست علشان أنت لوحدك بايخ.. فنظرت إليه.. وحبست الدموع من عيني، بكل ما في أعصابي من إرادة، وقلت له في صوت كسير: حاضر يا أستاذ.. بكره حاجيب معايا واحدة ست علشان تنبسط!

وعند الفجر:

وأويت إلى حجرتي وأنا أكاد أجن من الاضطراب.. ماذا أفعل؟.. هل انتهت حياتي الفنية بهذا الفشل؟.. هل أنزوي وأعود إلى بلدي، لأقفل هذا الباب إلى النهاية؟ هل أسعى إلى مهنة جديدة؟.. ولم أنم تلك الليلة.. وإذا بشخص ينقر باب غرفتي عند الفجر!!

قلت: من؟..

قال: أنا أبو جورج (والد نور الهدى).

ودخل.. ليسألني عن الصحة والأحوال.. وأدركت أن في الأمر شيئاً.. فليس معقولاً أن يزورني شخص في الخامسة صباحاً ليقول لي: إزي الصحة؟..

فطلبت منه أن يصارحني بحقيقة هدفه.. وقلت له: الحقيقة أنا في غاية الألم، وأريد أن أرجع النقود التي قبضتها من الأستاذ زكي ضاهر.. لأني لا أستحقها..

هذه هى الحقيقة :

فقال لي والد نور الهدى: لا يا إسماعيل.. إن الأستاذ ضاهر فنان، ويقدر فنك.. ويتوقع لك النجاح والمستقبل الكبير، فلا تيأس ثم بدأ يفهمني الحقيقة المروعة.. إنه يخشى أن يعتدي على

الجمهور!! وما العمل؟.. لا بد أن أغادر حلب أقصد.. لا بد أن أهرب من حلب!!

واتفق معي أن يقابلني في أحد المقاهي في الساعة العاشرة.

وتركني وأنا صريع بين شعورين عنيفين.. شعور باللوعة المرة.. لوعة السقوط الشنيع.. وشعور ببعض الراحة.. لأني سأعود إلى وطني.. سأعود إلى الجمهور الذي يفهم ما أقول.. الناس الذي يفهمون كل حرف من ولدهم إسماعيل ياسين..

الفشل في حياة الفنان :

وذهبت إلى المقهى ووجدت الأستاذ زكي ضاهر في انتظاري..

قال لي: لا تأسف يا إسماعيل- أنت أرتست عظيم، وستعود يوماً إلى حلب، وتأخذ حقك من تقدير الجمهور.

قلت له: إنني خجل من عدم نجاحي..

قال لي: الفنان الذي لا يعرف الفشل، لن يعرف النجاح..

قلت: ولكن فشلي يحطم قلبي.

قال: إن قلب الفنان الأصيل أكبر من أن يتحطم..

قلت: أشكر لك هذه التعزية..

قال: لا .. ليست هذه تعزية.. فأنا رجل أعمل في الوسط الفني منذ سنوات طويلة.. وقد خبرت هذه المشاهد.. إنها مواكب تتكرر.. فيها النكران وفيها العرفان.. فيها الانزواء، وفيها المجد.. فلا تفقد ثقتك بنفسك .

قلت: أريد أن أرجع لك النقود التي لا أستحقها..

قال: لا يا سيدي.. بل أنا ملزم بأن أعطيك كل أجرك. فقد تعاقدت معك على شهرين.

قلت: هذا هو المستحيل.. واتفقت معه على أن أسافر في نفس الليلة..

تكريم الفشل:

وجاء قت الغداء، ودعاني لتناوله معه.. ودهشت عندما وجدت أنه دعا جميع الفنانين وأفراد الفرقة، وكأنها مادبة لتكريمي، وقال لهم إن والدي في حالة خطرة، مما يضطرني إلى العودة إلى القاهرة.. وأبدى أسفه العميق، لأني سأتركهم!

وعند سفري، كان في توديعي.. وقدم لي «تذكرة» الديزل، وطاقة كبيرة من الورد.. وحاول أن يعطيني نقوداً.. فاعتذرت في شدة.. ثم قبلني في أخوة وحنان، والديزل على وشك القيام، ثم تحرك الديزل.. فإذا به يقذف في نافذتي ظرفاً مقفلاً.. وفتحت الظرف. ووجدت به ٤٢ جنيهاً، أجري عن الشهر الثاني! وأنا لم أعمل إلا أربعة أيام من الشهر الأول.. ونظرت إلى النقود في ذهول.. وبكيت..

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٠ في ١٩٥٣/١١/٢٢

مذكرات إسماعيل ياسين (٥)

الحب الأول والزواج الأول!

نظرت إلى القنود في ذهول فبكيت وكانت دموعي دموع العرفان بأن على الأرض خيراً.. وطيبة.. وأناساً لهم قلوب، ووصل بي القطار إلى بيروت، ومن هناك سافرت بطريق البحر عائداً إلى الإسكندرية في ١٥ مايو سنة ١٩٣٧. وكان معي ٨٧ جنيهاً. وقد آثرت أن أعود على ظهر المركب، بمائة وسبعة وستين قرشاً فقط.. فمن يدري ماذا تخبئه لي القاهرة؟.. يجب أن أدبر للأيام.. الأيام التي علمتني أن أنتظر منها المفاجآت. وفعلاً وقعت المفاجآت!

الهروب من الوحدة :

عملت في فرقة ببا، وهناك تعرفت إلى حسين المليجي وحسين إبراهيم وكنت وحيداً – في حاجة إلى الأصدقاء، في حاجة إلى أن أمضي وقت فراغي بين عدد كبير من الناس. والوحدة هى الفراغ على الرغم من النجاح. هى الشعور بأنك لا شيء حتى لو ظن الناس أنك كل شيء، هى الافتقار إلى بسمة القلب، حتى لو سمع العالم ضجيج ضحكاتك..

قلت لحسين المليجي وشلته: إلى أين؟..

قالوا: إلى السباق.

فذهبت معهم هارباً من وحدتي.. ثم اتضح لي بعد دقائق معدودات من وصولي إلى نادي السباق، إن الوحدة خير من جليس السوء! (ولا مؤاخذة!).. نعم.. بعد ربع ساعة فقط، لم يكن في جيبي مليم واحد. وكان معي خاتم ذهبي بعته أيضاً. فقد خسرت كل ما أملك .. طارت الثمانون جنيهاً في الهواء!

ستر ربنا:

ويبدو لي أن العناية الإلهية أرادت أن تلقنني درساً.. فقد كنت في حالة نفسية تعسة، وأنا أفكر في رحلتي الطويلة العريضة إلى فلسطين، ولبنان، ثم عودتي بالنقود التي طارت في ربع ساعة..

وبدأت أقترض من زملائي، كان أحدهم مؤلف أغاني اسمه محمود الناصح، أقرضني خمسين قرشاً.. وما أن وضعت هذه الخمسين قرشاً في جيبي حتى أحسست بالقلق، وتذكرت خسارتي في السباق وحلمت بتعويضها.. وأخذت أجادل نفسي.. تروح السباق ياواد.. لا ماتروحشي.. وإيه يعني؟.. مش خسرت ٨٠ جنيه، خليهم ٨٠ جنيه و٥٠ قرش.. وأخيراً وجدت نفسي في نادي السباق.. وهنا تلقفتني العناية الإلهية، واستحالت الخمسون قرشاً إلى ٢٣٠ جنيها (مرة واحدة) فقبلت يدي وجهاً وظهراً، ثم ظهراً ووجهاً.. وأسرعت إلى القاهرة وعملت في فرقة بديعة.

هربت من نفسي إلى السودان:

وبدأت معها بثلاثة منولوجات جديدة، «أحب المنى» و«البريفيه» و«لو عندي أوتومبيل» ثم منولوج رابع اسمه «السينما» من تلحين الأستاذ محمود الشريف. وقد نجحت هذه المنولوجات، وبدأ اسم إسماعيل ياسين، يتقدم رويداً رويداً. ولكن شعوري بالوحدة كان يملأ نفسي أيضاً. كنت في حاجة إلى إلهام يهديني كنت أبحث عن وجه تلتقي به نظراتي فأستريح، كنت أبحث عن إنسان أشعر أنني أعمل من أجله، وأنجح من أجله.. ويصفق لي الجمهور.. وكأنهم يصفقون له لا لي.. ولذلك فقدش فرحت كثيراً عندما قالت لي السيدة بديعة مصابني يوماً:

- إيه رأيك يا إسماعيل.. تروح معانا السودان؟.. كانت فرصة للهرب من نفسي..

ووصلنا الخرطوم، وأقامت بديعة مصابني حفلة كبرى هناك للنادي السوري، مما أثار غضب إخواننا السودانيين، لأنه كان يجب أن نكرمهم كما كرمت السوريين في السودان.. وكانت النتيجة أن قاطعوا الفرقة، وكان منهم من يقف عند باب الفرقة ليعتدي على كل من يدخل.. فتكبدت بديعة مصابني خسائر فادحة، استطاعت أن تعوضها عندما سافرنا إلى «الأبيض» وكان معنا بشارة واكيم، وحكمت فهمي وأبوالسعود الإبياري وتخت أحمد شريف. وعدنا إلى القاهرة بعد شهرين.. وعدت إلى وحدتي.. إلى الشيء الحائر في نفسي.

أول غرام:

وعملت شهراً على مسرح الهمبرا (سينما لوكس الآن). ثم اشتركت في فرقة السيدة فتحية محمود التي سافرت إلى الإسكندرية. وكان العمل في مسرح اسمه النرفانا، وفي هذا المسرح بدأت أشعر أنني لست وحيداً. هذا الشيء الحائر في نفسي وبدأت في حياتي أول قصة غرام وكانت بطلة القصة في وحدتي.. راقصة. وكانت بدينة. ولكن يبدو عليها الحنان.. وكنت أنا محروماً من الحنان.

واختلفت مع السيدة فتحية محمود واتفقت مع فرقة تعمل في رأس البر وسافرت معي بطلة غرامي.

يا سافل!!

كانت هى كل شيء في عيني. وكنت أنا كل شيء في حياتها.. كما كانت تقول لي: كنت أراها كاملة وكانت تراني بطلها. إلى أن فوجئت ذات ليلة وأنا ألعب الكونكان مع بعض الأصدقاء فوجئت بها تفتح علينا المكان، ورائحة الخمر تفوح من وجهها وإذا بها تهذي كالمحمومة وتقذفني وتقذف أصدقائي بأكواب الزجاج!

وارتبكت.. وخجلت أمام أصدقائي وقلت لها: عاوزه إيه يا «فلانة»! فصرخت كالكلب المسعور.. عاوزه إيه .. ياكلب.. يا مجرم.. يا سافل.. سايبني لوحدي وقاعد تلعب كوتشينه. وأشفعت هذه الشتائم بكوب آخر من الزجاج، استطعت أن أتفاداه بكرسي.. وتركتها حزيناً إلى حجرتي في الفندق.. وأنا أفكر في تعاسة حبي! أهذه هى بطلة غرامي التي حلمت أنها ستبدد وحدتي، وتشعرني بجمال الحياة، وتخفف عني قوة كفاحي.. وفي الصباح علمت أنها تركت رأس البر، وعادت إلى الإسكندرية، واستمر عملي في رأس البر.. وكانت تنافسنا فرقة فتحية محمود. ولكن نجاحي كان رائعاً. كنت ألقي كل يوم ١٣ منولوجاً، لقيت كلها كل تقدير من الجمهور.

ذكريات ضاحكة:

وهنا لا تفوتني رواية طريفة عن المرحوم بشارة واكيم، وكان زميلاً كبيراً لنا في الفرقة، كان يتركنا يومياً بعد انتهاء العمل، لاصطياد السمك ويعود ويقدم لنا ثمرة صيده، وذات ليلة طلب مني أنا والزميل النجدي أن نصحبه.. وقد كان، ومكثنا معه حتى الفجر، وهو يرمي السنارة، والطعم في ماء البحر، وينتظر، وننتظر معه، ثم يرفع السنارة.. وتخرج بلا طعم ولا سمك.. المهم أنه لم يصطاد سمكة واحدة، وعندعودتنا ذهب بنا المرحوم بشارة إلى حلقة السمك، واشترى ثلاث أقات، وقال لنا: ماتجيبوش سيرة، أنا كل يوم ما بصطادش، واشتري من هنا!

كنت أحب:

وانتهى العمل، وكان المفروض أن أعود إلى القاهرة، ولكنني وجدت نفسي في الإسكندرية.. وأعترف أنني سافرت إلى الإسكندرية لأرى تلك التي هجرتني!.. كنت أحبها، برغم ما تكشف لي من عيوب.. وماذا يستطيع القلب أن يفعل إذا أحب!.. وتوجهت إلى كازينو الكوت دازير، لأنني سمعت أنها تعمل هناك، وكانت صدمة قاصمة. قابلتني من سعيت إليها، بقشور وبرود وعدم اكتراث، وكأنني زائر ثقيل الظل! ثم علمت أنها عاشقة.. عاشقة لغيري، فغلبني الألم العنيف،

وسرت على غير هدى في شارع الكورنيش، وقادتني قدماي إلى سيدي بشر. فإذا بي أجد الأستاذ حسين المليجي، يعمل هناك في تياترو كبير لحسابه. فسررت لهذا الزميل، وما أن رآني حتى رحب بي، وطلب مني أن أعمل معه، فرحبت على الفور.. واعتليت خشبة المسرح في تلك الليلة، ولكن ذهني كان منشغلاً في تلك التي سلبت طمأنينتي.

انتقام القلب:

وهدتني عاطفتي المغلوبة على أمرها أن أنتقم لقلبي.. فماذا أفعل؟.. غازلت إحدى الزميلات الفنانات.. واستجابت لندائي، فبدأت صداقة جديدة. وكانت الثانية تختلف عن الأولى تمامًا.. رشيقة القوام، تتفجر أنوثة صارخة.. صامتة، تتحدث بعينيها، لا بلسانها.. وأصابتني سهامها.. وإذا بي كالغريق، يلتمس لديها النجاة وصارحت السيدة علية فوزي المطربة وزوجها فريد أبوزيد، بما يعتمل في قلبي..

فقالا لي: ولم لا تتزوجها؟..

قلت كالأبله وأنا أسائل نفسي: صحيح.. ولم لا أتزوجها؟..

وبعد دقائق، كنت مع أبوزيد، عند المأذون في جهة باب سدرة، وكتبنا الكتاب، وقدمنا الشربات.. واحتفلنا بالزواج السعيد.

وفي الصباح، هنأني جميع زملائي ما عدا واحداً منهم، كانت تهنئته تخفي وراءها شيئاً غامضاً لم أدركه في أول الأمر..

علقة ساخنة:

وعدت إلى منزل الزوجية في المساء لأسمع عن حادث طريف.. لقد سمعت بطلة غرامي الأول، بقصة زواجين فإذا بها تحضر إلى منزلي، وتعتدي على زوجتي بعلقة ساخنة.. كانت حديث الوسط الفني. فشعرت بشيء من الراحة.. لقد انتقمت لقلبي.. وها هى تمتلئ غيظاً لأنني تزوجت..

الباقي ٢٠ مليمًا!

وعدت مع زوجتي إلى القاهرة، ونزلت في البنسيون الذي اعتدت الإقامة به وذات صباح، قمت من نومي، فقيل لي إن زوجتي نزلت للجلوس على مقهى بايرون (وقد كان أهل الفن يرتادون هذا المقهى للاتفاق على العمل والحفلات).. واكتشفت أن زوجتي استولت على كل ما أملك في ذلك الصباح وهو ١١ قرشاً. فلبست ونزلت إلى المقهى، واكتشفت أن الحرم المصون اشترت جريدة الأهرام بـ ٥ مليمات، وكتاباً عن التدبير المنزلي بسبعة قروش ونصف قرش، وشربت فنجاناً من القهوة بـ ١٥ مليماً.. يبقى فاضل من رأس المال ٢٠ مليماً فقط..

فقلت لها: احنا لاقيين نأكل «علشان تشتري كتاب للأكل»!..

فغضبت وغضبت.. وتركتها. فقابلت من أخبرني إن فرقة السيدة ببا تطلبني للعمل، فقابلتها وكتبت عقداً. وكان ذلك في ديسمبر سنة ١٩٣٨.

مأساة الحب:

وعدت إلى زوجتي في البنسيون، فقالت لي إن والدتها في القاهرة، وستذهب لرؤيتها فلم أمانع. وبعد ساعة من خروجها، زارني أحد الأصدقاء ليقول لي:

– هل تعرف أين زوجتك الآن؟

– قلت: طبعا!

– قال: أين؟..

– قلت: عند والدتها..

– قال لي في ألم.. إن زوجتك أيها الأبله، تقابل من تحبه. وذكر لي اسمه إنه الزميل الذي هنأني يوم زواجي بكلمات فهمت منها أن في قلبه شيئاً غريباً. وعادت الحرم المصون، وكاشفتها بحقيقتها، فارتبكت أول الأمر ثم اعترفت، لقد كان زواجها مني عناداً لحبيبها.. كما كان زواجي منها عناداً لمن أحبها! وهكذا انهار هذا الزواج.

حنين إلى أول غرام:

وفي تلك اللحظات، شعرت بحنين عجيب إلى فاتنتي الأولى.. وتصورتها ملاكاً من ملائكة الرحمة، يمكن أن تنقذني مما أنا فيه. ألم أقل إنه الحب. والحب الأعمى، الذي يحجب الوعي والبصيرة، ويقود الإنسان سالباً إرادته. وفي تلك اللحظات، نظرت إلى وجه زوجتي، فإذا به دميم يثير الاشمئزاز.. فالخيانة دائماً دميمة منفرة.

قلت لها: لا حل إلا الطلاق..

قالت: وأنا أرحب أيضاً بالطلاق وأخذت هى ورقة الطلاق، فرحة متهللة، وكأنها انطلقت من السجن.. وسرت وراءها، وعرفت أنها في طريقها إلى من تحب!.. وتركت مطلقتي، وملأ قلبي ارتياح ممزوج بالمرح والسعادة. فقد قررت أن أعود إلى غرامي الأول.. زوجاً!

نعم.. انطلقت إلى فاتنتي الأولى – وعقدنا الزواج– وأقمنا في بنسيون، لا أستطيع أن أسميه إلا بالبنسيون العجيب، كان كل نزلائه.. أقصد نزيلاته، من العاملات في الصالات والكباريهات.

رجل يصلي ويتسامح:

وكان زوج صاحبة البنسيون، رجلاً يؤدي جميع فروض الصلاة، ولكنه كان رجلاً متسامحاً، فليس هناك مانع من أن تستقبل نزيلات البنسيون ضيوفهن من الرجال، مادام الضيوف سيسددون الحساب!

المهم.. أنني كنت مضطراً للنزول في هذا البنسيون لعدة أسباب، فلم يكن من الممكن أن اشتري أثاثاً لمنزل.. كما كان كل شيء على الحساب في هذا البنسيون. وبدأت أيام زواجي الثاني، سعيدة هادئة.. ولكنها لم تتجاوز العشرين يوماً.

الحقيقة المروعة :

ففي اليوم الواحد والعشرين، لاحظت شيئاً غريباً على زوجتي، رأيت في يدها سواراً من الذهب.

- من أين لك هذا يا زوجتي؟

- من أبله (فلانة).. كنت رهناه عندها..

وبعد ذلك بأيام.. أضيف إلى السوار الذهبي «غويشة»، عريضة من الذهب لا يقل ثمنها عن ٣٠ جنيهًا.

- ومن أين لك هذا يا زوجتي؟

- أبله (فلانة)، ربنا يخليها.. وأبلة (فلانة) هى صاحب البنسيون .

وقد دخلت في حجرتي لتؤكد أقوال زوجتي وتقول: خليهم معاها.. ولما ربنا يحنن عليك ابقى أدفع، وهكذا بدت لي الحقيقة المروعة، إنني لا أترك زوجتي طوال النهار.. أتركها فقط عندما أذهب إلى تياترو «ببا» في المساء. إذن فقد كانت هذه «الأساور والغوايش» الذهبية، تسعى إلى الزوجة المحترمة أثناء عملي..

هذا هو المصير:

إذن فقد أصبحت لي صناعة أخرى، غير أن أكون زوجا!! أو هكذا ينتهي بي المطاف مع من أحب؟..

أهذا هو جزاء القلب الذي خفق والروح التي لبت نداء العاطفة، والمشاعر التي هزها الحب؟ أهذا هو المصير..

وانقلبت حياتي جحيماً .. من الشك القاتل، والتعاسة القلقة، والحيرة المؤلمة.. ولكن ربك دائماً بالمرصاد قمت من نومي ذات صباح مبكراً على غير عادتي، فوجدت سريري خالياً إلا مني فقط.. لم أجد زوجتي وانتفضت غضباً، وارتعدت أوصالي ثورة على قلبي الذليل، ولكني تمالكت نفسي، وفتحت باب الحجرة في هدوء، وسرت على أطراف قدمي إلى صالة البنسيون.. ووجدت باب إحدى الحجرات يفتح.. وتخرج منه زوجتي.. فنظرت إلى داخل الحجرة.. فرأيت.. ويا لهول ما رأيت.

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠١ في ١٩٥٣/١١/٣٠

مذكرات إسماعيل ياسين (٦)

- وضحك الجمهور وبكيت!

رأيت رجلاً!.. رجلاً غريباً يرتدي ملابسه، في الحجرة التي خرجت منها زوجتي! وفي هذه اللحظات، انتحر الحب في قلبي، ماتت العاطفة في وجداني تجردت من كل شعور نحو هذا الشبح الملوث.. شبح المرأة التي هى أمام الله، وأمام الناس، زوجة لي، ضمن رباط مقدس، وكفاح مشترك، وتعاون في طريق الحياة. ونظرت إلى هذه السيدة، وجسدي يهتز من ثورة الاضطراب، ونفسي تغلي غضباً، وأعصابي يأكلها الاحتقار.. وحاولت أن أتكلم، لأول مرة أحسست أن الكلمات أثمن من أن تقال لهذه الجرثومة المتحركة.. شعرت أنني تزوجت وباءً قاتلاً لكل معنى إنساني يمكن أن يحس به مخلوق، ولكنني تكلمت.. تكلمت لأنه كان لا بد لي أن أتكلم، أن أواجه هذه التعاسة المتحركة.. قلت لها:

- ماذا كنت تفعلين هنا يا هانم؟

قالت: كنت بدور على فتحية، علشان عاوزة منها فستان..

- كده – والحيوان اللي جوه ده عنده الفستان.. وهنا خرج الرجل من الحجرة.. فصرخت في وجهه.. من الذي أتي بك إلى هنا؟

فأجاب في برود وهو ينصرف: هذه حجرتي.. وليست هذه هى المرة الأولى!

وتدخل صاحب البنسيون، هذا التقي الورع، الذي لا ينسى فرضاً واحداً من فروض الصلاة – تدخل ليلفت نظر زوجته، أن تحاسب هذا الزبون قبل أن ينصرف!.. وفي هذه الماسأة كنت أعيش.

ودخلت الزوجة المصون إلى حجرتنا، فطلبت إليها أن تجمع ملابسها، وتنصرف بالحسنى.

قلبي الشريد:

ولكنني لم أستطع أن أمكث في الحجرة، حتى تغادرها، هذه الآدمية.. فارتديت ملابسي كالمجنون، وخرجت إلى الطريق لا ألوي على شيء.. وفي ردهة البنسيون وجدت جميع النزيلات، وقد تجمعن في صالته، وعيونهن تنطق بالإشفاق علي والرثاء.. بل إنني استطعت أن أترجم هذه النظرات إلى معان أخرى غير الإشفاق والرثاء.. كانت منهن من تريد أن تصيح بي: تشجع أيها الرجل، واغدر بمن غدرت بك.. امض في طريقك، طريق كفاحك الفني، طريق صراعك مع الحياة.. وأسدل ستاراً على قلبك.

ووجدتني أتحسس قلبي بيدي.. قلبي الذي كان ملآناً فأصبح فارغاً.. قلبي الذي كان راقصاً، فأصبح باكياً.. قلبي الشريد في مأساة من خانته.

الدموع الرخيصة:

وعدت إلى البنسيون عند الظهر، ولكنني وجدتها!.. وحاولت الأفعى أن تنفث سمومها في دمي من جديد، فارتمت باكية، تقسم بأغلظ الأيمان، أنها بريئة وأنها وحيدة في هذه الحياة إلا مني.. ومن قلبي!

قلت لها: لقد انتهى كل شيء.

قالت: بل لقد بدأ كل شيء..

لقد أيقنت اليوم تماماً أنك تحبني.. الحب الذي تتمناه كل امرأة في هذا الوجود..

قلت لها: لقد ذهب هذا الحب إلى القبر..

قالت: بل لقد ولد في قلبي من جديد.. فلا تجعل قلبي مقبرة لأنبل العواطف.. وأخذت تنزف الدموع، وتضمني إلى صدرها.. وتنادي من أعماقها أتوسل إليك.. لا تتركني.. إني لك . لك وحدك ومن بعدك الشيطان، ولكن قلبي كان قد استحال إلى حجر جامد، لم تذبه هذه الدموع الرخيصة وتجمدت فيّ كل مشاعر الإنسان.. وواجهتها مرة أخرى بالحقيقة.. بأقسى حقيقة على نفسي لقد خنت هذا القلب الأبيض النظيف.. فلا تحاولي أن تدنسيه من جديد..

قالت: إن أمامي فرصة للعمل في الإسكندرية.. وسأسافر، ولعلك في غيابي، ستخلو إلى نفسك، وتعرف أنك ظالمني.

حرب الفن:

وسافرت.. ولأول مرة أشعر بالسعادة في الوحدة.. أشعر بالحب من غير حبيب.. أحس بالحياة، دون أن يشاركني أحد في حياتي.. لقد عرفت أنني تحررت. وعدت إلى كفاحي وعرقي..

كان علي أن أدخل معمعة عنيفة من المنافسة في العمل.. كان معي في فرقة "ببا" سيد سليمان وثريا حلمي وفتحية شريف وإنصاف محمد والمنولوجست اللبنانية نادية العريس.. وكل منهم، له اسم ساطع، وشهرة مضيئة.. وأنا لا أزال أخطو درجات السلم..

وكانت الصحف تتحدث عنهم، وعن نجاحهم جميعاً.. إلا أنا! ولكني لم أتراجع.. ولم أترك اليأس من الصعود يتسلل إلى نفسي، وبدأت ألقي كل يوم جمعة منولوجاً جديداً.

كان المنولوج الواحد يكلفني نصف مرتبي.. وكنت أفضل أن أتغذي يومياً بساندويتش فول، وأوفر ثمن الطعام، لكي أستغله في شراء منولوج جديد.. وكنت أجد تشجيعاً قوياً من زملائي وأصدقائي، الذين كانوا يسهرون في مسرح "ببا" كل ليلة، لا لشيء، إلا لتشجيعي.

وفي زحام هذه الحرب.. تلقيت إخطاراً شرعياً من مطلقتي تطالبني بنفقة شهرية قدرها ١٥ جنيهاً، زاعمة أن مرتبي الشهري ٤٠ جنيهاً، وتحدد يوم نظر الدعوى أمام المحكمة الشرعية.. فسافرت إليها في الإسكندرية، وقلت لها: ألم تكتف بالختام المظلم الذي انتهت به قصة حبنا..؟ هل تريدين أيضاً أن تستولي على كل أجري؟

قالت: أنني أحبك.. وأريدك أن تعود..

قلت لها: أنت تعلمين أنني لن أعود.. وإن رأيت الاستمرار في الدعوى.. فليكن.. ولكنها في النهاية، تنازلت عن الدعوى، وقبلت تسوية ودية..

سكارى الاحتلال:

وفي ١٥ يونيو سافرت الفرقة إلى الإسكندرية للعمل على مسرح كازينو البلافيستا.. وكان نجاحاً مروعاً. وبدأت أدرك معنى تقدير الجمهور. وبدأت الصحف تكتب عن إسماعيل ياسين.. في الصباح كل يوم جمعة والمصور كل يوم أربعاء.. حتى إن بعض زملائي المنولوجست، بدأوا يتخذون تصرفات مضادة، لا أجد داعياً لأن أذكرها.. ثم أعلنت الحرب.. وبدأت نقطة تحول في حياة كل فنان..

امتلأت المسارح والملاهي، بأصحاب الوجوه الحمراء، والشعر الأصفر والعيون الزرق.. غصت بجنود الاحتلال الممقوت. وكان الستار يرفع، فلا أجد أمامي إلا شراذم من السكارى

الإنجليز، وقد احتلوا كل مقعد وكل ركن.. وكان المفروض علينا نحن المصريين أن نغني ونرقص لنطربهم.. كان المفروض علينا أن نقوم بتسلية هؤلاء الذين يمتصون دماءنا، ويقتلون كبرياءنا، وكرامتنا الوطنية..

كان المفروض أن ألقي منولوجاتي باللغة العربية، لقوم يحتقرون العربية ثم هم لا يفهمونها.. وما كانوا يرتادون المسارح والملاهي، الا ليعبوا من الخمر والنساء..

ولكن ما العمل؟

هل ننزوي في بيوتنا.. ونضرب عن العمل، ونشد الأحزمة على بطوننا؟ وأي عمل كان من الممكن أن نؤديه إلا المضي في كفاحنا الفني.. لبلادنا وجمهورنا وشعبنا..؟

عدت من الإسكندرية إلى القاهرة ولم يكن في جيبي إلا ستون قرشاً هى اجرة القطار من الثغر إلى العاصمة.. أبت السيدة ببا عز الدين، أن تعطيني هذه الستين قرشاً.. وأقرضني إياها صديق عزيز..

٩٩ مقلب :

وعملت في فرقة السيدة بديعة مصابني.. وكان معنا في الفرقة المنولوجست بديعة صادق، والمرحوم بشارة واكيم، وفهمي أمان وعبد النبي محمد وأحمد عبد الله، وتحية كاريوكا.. وافتتحنا برواية اسمها «٩٩ مقلب» وهى رواية غنائية راقصة ضاحكة (ريفية) من تأليف أبوالسعود الإبياري، وكانت رواية رائعة.. وكانت معنا فرقتان أوروبيتان.. وافتتحت ببا فرقتها بجوار فرقة بديعة.. وكانت فرقة ببا تضم كبار الفنانين.. ولكن نجاحنا كان اكتساحاً.. وثم مرضت السيدة بديعة، واقتضى الأمر أن تُجرى لها عملية المصران الأعور في المستشفى القبطي.. وزاد هذا من حماستنا للعمل.. وألفنا شلة برياسة تحية كاريوكا.

وكان التياترو كل يوم (كومبليت) وكنا نعتقد أن هذه الحماسة وهذا النجاح ستسر لهما السيدة بديعة وفوجئنا بأن شعورها كان على.. العكس.. لقد فهمت هذا النجاح على أن وجودها أو عدم وجودها سيان في الفرقة!! وخرجت من المستشفى وهى شبه ناقمة علينا..! وفكرت بديعة أن تشتري قطعة أرض كبيرة في ميدان الأوبرا، لتقيم عليها «كازينو أوبرا».. واقتضى تنفيذ هذا المشروع ثلاثة أشهر.. وكان علينا أن ننتظرها حتى تبدأ الموسم. قلت: كان علينا أن ننتظر بلا عمل ثلاثة أشهر، حتى تكمل بديعة مشروعها..

إلى لبنان:

ولكني لم أنتظر.. تعاقدت مع السيدة ببا عز الدين على السفر إلى لبنان، بأجر ٢٠ جنيهاً شهرياً.. وتركنا القاهرة في ٢ مارس سنة ١٩٤٢، متجهين إلى فلسطين في طريقنا إلى لبنان وكان من نجوم الفرقة زميلي المطرب اللامع محمد عبد المطلب والمنولوجست ثريا حلمي وأنصاف محمد وسعيد مجاهد وسيد مصطفى.. وعشر فتيات.. والطريف أن المرحومة ببا عز الدين، بدأت الحفلات بإلقاء منولوجات، وكان صوتها ضعيفاً، فقد كانت راقصة ممتازة، ولكنها لم تكن منولوجست.. وكانت مفاجأة لي أن أسمعها تلقي منولوجات.. فقلت لها في بساطة بعد أن انتهت نمرتها: أحسنت يا ست.. أنا ماكنتش أعرف أنك بتقولي منولوجات، وظنت رحمها الله أنني أسخر منها، وغضبت مني.. ومن ثم غضب جميع أفراد الفرقة وشعرت كأنني منبوذ بينهم؟

وعدت إلى وحدتي:

وكانوا يدعون إلى الولائم والحفلات.. فيذهبون بقضهم وقضيضهم.. ويتركونني وحدي في الفندق.. كأنني من مستوى لا يرتفع إلى مستواهم.. أو من طينة غير طينتهم..! وكلما انتهى العمل بالمسرح، عدت كسيراً إلى الفندق، وذهبوا هم إلى حفلاتهم وولائمهم، وقد آلمني هذا التصرف من جانبهم، لا لأنني أشتهي الولائم، ولكن لأنه أشعرني بالغربة القاتلة.. وأنا الفنان الذي أعيش بلا قلب.. شعرت أنني فقدت زملائي في الغربة، بعد أن فقدت قلبي في وطني..

صديقي اللذيذ :

وكان يسليني في وحدتي صديق لذيذ، هو عبد العاطي إبراهيم، الموسيقي، وقد استمرت صداقتنا وعلاقتنا حتى الآن وأنا أسجل هذه المذكرات كان هو الوحيد الذي يتركهم ليشاركني في وحدتي..

ثم سافرنا إلى القدس، وعملنا بنادي الشبان المسيحيين، وكان نجاحنا مدوياً..

لذة النجاح :

كنت أمثل في الرواية، وألقي «دويتو» مع ثريا.. ثم أعمل «تريد» مع ببا وأنصاف محمد، ثم ألقي منولوجات.. وأشترك في الاستعراض، وبعد ذلك أقوم ببطولة سكتش.. وكنت أنتهي من عملي، وأنا محطم من الإرهاق.. ولكن تقدير الجمهور كان يعوضني عن كل شيء.. كنت أمسح عرقي، وكأنني خارج من حمام ساخن يريح أعصابي.. كنت أرتمي على سريري في الفندق من الإجهاد وكأنني أغوص في وسادة مترفة من ريش النعام.. كان جسدي مرهقاً من كثرة العمل،

ولكن روحي كانت مجددة من متابعة النجاح.

تقليد منولوجاتي:

ثم واصلنا رحلتنا إلى بيروت.. وعملنا يوم وصولنا على مسرح الكورسال.. وصاحب هذا المسرح رجل من أطيب القلوب.. وفتوة من فتوات لبنان العتاة.. هو المرحوم أحمد جاك.. وعلمت أن نادية العريس وزوجها علي العريس يعملان في تياترو آخر ببيروت، اسمه تياترو الكاربون.. وقيل لي إنها تلقي منولوجاتي على أنها من تأليف وتلحين علي العريس فأردت أن أصحح هذا الوضع، بأسلوب معين.. فأعلنت على المسرح قبل أن ألقي منولوجاتي قائلاً: فيه هنا ناس في بيروت يلقون منولوجاتي إنما بطريقة مش لطيفة.. فأنا سأقولها لكم بطريقتي.. وهكذا أنقذت الموقف حتى لا يقال إني مسافر إلى بيروت لأقلد نادية العريس..!

وتابعنا النجاح في بيروت اثني عشر يوماً، ثم سافرنا إلى طرابلس، ومنها إلى حمص، ومنها إلى حماه، وكانت الخطوة التالية إلى حلب..

وعندما قيل لي إننا راحلون إلى حلب، بدأت أرتبك.. اعتراني شعور مثير.. شعور غامض بعدم الثقة في المقبل من الأيام.

ذكريات وذكريات:

فمدينة حلب تمثل عقدة في حياتي.. نقطة تطور.. فأي قوة في أعماقي تستطيع أن تنسيني أنني عرفت الفشل.. الفشل الذريع في هذه المدينة.. وكيف أنسى أنني هربت من حلب طريداً خوفاً من لعنات الجمهور..؟ وكيف يغيب عن ذاكرتي، والد نور الهدى، عندما طرق باب غرفتي في حلب سنة ١٩٣٧ عند الفجر، ليقول لي:

يا إسماعيل.. يجب أن تهرب فإنني أخشى أن يعتدي عليك الحلبيون..

الرجل الذي تستر علي فشلي:

وكان أول ما اتجه إليه تفكيري، عندما قيل لي إننا في الطريق إلى حلب.. أن أسرع إلى الأستاذ زكي ضاهر.. الرجل الوحيد، الذي تستر علي فشلي في حلب، وحاول بكل ما في قلبه من نبل أن يعيد إلي ثقتي بنفسي، وأن يعزيني في فشلي.. فأعطاني أجري كاملاً، وأقام لي حفلة وداع، وهو يشد على يدي قائلاً: يا إسماعيل.. أنت فنان فلا تيأس.. والفنان الذي لا يعرف الفشل لن يعرف النجاح.. إن كلماته لا تزال ترن في أذني، وقد تمثلته أمامي وهو يقولها لي، ويشد علي يدي في ثقة وإيمان.. فأردت أن أثبت له في هذه المرة أنني فنان.. أردت أن يراني في حلب خليل ضاهر،

ويرى تقدير الجمهور لي، ويرى أنني نجحت في التجربة إنني فنان.. لم يقتلني الفشل.. ولكن كشف لي الطريق إلى النجاح.

يارب:

وهكذا بدأت أفكر في حلب، على أنها تجربة كبرى.. واتجهت إلى الله بروحي.. ودمي.. وبكل ذرة في جوانحي، وأنا أتحدث إلى ربي في همسات منتزعة من أعماقي.. أن يلهمني القدرة على النجاح.. أن يلهمني الثقة في نفسي.. أن أسمع تصفيق الجمهور، الذي لعنني منذ ٥ سنوات.. أن أرى بعين رأسي، إعجاب قوم، طردوني من مدينتهم، لأنني فشلت.. أن أسمع كلمة إعجاب من الذين قدموا لي الصفعات.. وكانت صورة الأستاذ زكي ضاهر تتمثل أمامي.. كنت أريد أن أنجح حتى أحقق ظنه.. حتى أثبت له قبل أن أثبت لنفسي أنني فنان.. وأنني كنت جديراً بتقديره وتشجيعه لي، عندما فشلت..

ستنال تقديرك:

ووصلنا إلى حلب.. وكان أول شيء فعلته أن زرت الأستاذ زكي ضاهر في منزله.. فرحب بي من كل قلبه ودعاني لتناول الغداء.. وقال لي – كن على ثقة يا إسماعيل أنك ستنال اليوم ما تستحقه..

ولم أنم:

وعدت إلى الفندق، واسترحت بعد الظهر.. ولكنني لم أستطع النوم.. كنت أتململ في حجرتي، كتلميذ صغير، في طريقه إلى الامتحان، كان الشك يقتلني، وكانت الثقة تذهب هذا القلق – خيل لي أنني سأظهر على المسرح لأول مرة.. هيئ لي أنني سأواجه الجمهور كمبتدئ..

وكانوا لا يعلمون:

وحل موعد العمل وارتديت ملابسي وأنا أوهم نفسي أنني سيد أعصابي وذهبت إلى التياترو، وأنا أتظاهر أمام زملائي، بأن خشبة المسرح طوع إرادتي.. وكانوا لا يعلمون..!

مرة أخرى يا رب:

ثم أعلن المذيع عن ظهوري.. ورفع الستار.. وترددت قليلاً، وأنا أخطو أول خطوة. ونظرت إلى الفضاء.. وقد كنت في تلك اللحظة لا أرى أمامي إلا فضاء وهتفت نفسي: يارب.. وظهرت على المسرح.. وفجأة استحال التردد إلى ثقة وإقدام.. وانقلب الخوف من الفشل إلى إيمان بالنجاح.. وألقيت أول منولوج.. ثم الثاني ثم الثالث والتصفيق المدوي يكاد يهز التياترو بأكمله.. وعند

المنولوج الرابع بدأ التصفيق يتبلور.. إلى صيحات إعجاب من الجمهور.. وهتفت نفسي: شكراً يا رب.. شكراً وشكراً كثيراً.. وتركت المسرح بعد أن ألقيت تسعة منولوجات، وأكثر من ٧٠ نكتة.. ورفع الستار أكثر من خمس مرات لأتلقي مزيداً من تحية أهل حلب. وتركت خشبة المسرح لأرى أمامي السيدة ببا تبكي في حرارة وانفعال وهى تقبلني وتقول: مبروك يا إسماعيل.. مبروك.. ثم وجدت طاقة كبيرة من الورد، وعليها بطاقة.. كانت البطاقة من الأستاذ زكي ضاهر وقد كتب عليها: «عزيزي إسماعيل.. لقد كنت عند حسن ظني.. لقد نلت ما أنت جدير به.. «

كانت هى الأمل:

كانت هذه الكلمات القليلة المسطرة على بطاقة خليل ضاهر هى البلسم الشافي.. هى الموسيقى العذبة التي ملأت كياني.. هى الأمل الذي انتظرته خمس سنوات كاملات. إذن.. فقد نجحت.. إذن فقد نجحت في أن أقنع الرجل الذي حمى فشلي، إنني أستحق النجاح.. أنني أستحق تشجيعه.. وتركت المسرح.. وسألت عنه في الصالة، لأقول له: أنت هو نجاحي أنت صاحب الفضل.. أنت الذي خلقت من الفشل نجاحاً.. ولم أجده في الصالة.. وقيل لي إنه عاد إلى منزله.. وكنت في أشد اللهفة على رؤيته.. ولم أكن أستطيع أن أغادر التياترو، قبل أن ينتهي البرنامج.. فأرسلت صديقاً إلى منزله، ليبلغه شكري وعرفاني بالجميل..

حكمة القدر:

وعاد هذا الصديق بعد أقل من نصف ساعة. عاد إلي «مطرق الرأس بطيء الخطوات، ووقف أمامي ليحملق في وجهي في أسى كبير..!

– ماذا..؟ كيف وجدته..؟ فسكت صديقي ولم يجب بكلمة واحدة..

– بالله.. لماذا أنت صامت..؟ وسكت صديقي للمرة الثانية، وإذا به يجهش في البكاء.. ويرتمي على صدري، ويمسك في عصبية بذراعي، وهو يقول البقية في حياتك ذهبت إلى منزله، فعرفت أنه مات.. أسلم روحه إلى بارئها بعد أن عاد من المسرح بدقائق معدودات.. وتلقيت الصدمة شارداً، وقد فقدت كل وعيي.. الرجل الذي هنأني منذ أقل من نصف ساعة، على نجاحي.. الرجل الذي آمن أنني فنان.. يموت قبل أن أعترف له بالجميل؟ الرجل الذي كان أول أمل في حياتي.. الرجل الذي بشرني بأنني سأنتصر.. يذهب إلى عالم الفناء لحظة إحساسه بأنني بدأت أكون موجوداً..

مأساة الفنان والجمهور:

.. ثم تفجرت دموعي.. وأخذت أرتعد وأنا أبكي كالأطفال. وجريت إلى خارج المسرح، لأهرع

إليه في منزله، ألقي عليه نظرات الوداع وإذا بمدير المسرح يجذبني من يدي- وهو لا يدري شيئاً – ويدخلني إلى خشبة المسرح. وهو يقول: دورك في الاسكتش يا إسماعيل. ودخلت المسرح مذهولاً.. ودموعي تنساب بغزارة وعنف.. وإذا بالجمهور يصفق، ويصفر، ويصيح ترحيباً بي.. ثم يعلو ضحكهم، تقديراً وإعجاباً.. نعم.. كل منظري يثير إعجابهم وتقديرهم، وأنا أجفف دموعي، كالأبله الشريد.. وكان تصفيقهم وتقديرهم يثير دموعي أن تنهمر وتنهمر.. كانوا يقفزون من مقاعدهم مقهقهين مرحين حماسة لفني.. وكنت أبكي وأثاوه رثاء لأول من اعترف بفني.. واستمر بكائي.. واستمر ضحك الجمهور..

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٢ في ١٩٥٣/١٢/٧

مذكرات إسماعيل ياسين (٧)

حب من السماء

ومكثنا في حلب أربعة عشر يوماً، وكل ليلة كنت أشعر لذة النجاح، لذة ممتزجة بألم عميق لفقدي الصديق المرحوم زكي ضاهر.

ثم سافرنا إلى دير الزور. وركبنا لوريات، استمرت تقطع طريقاً طويلاً يجتاز صحراء جرداء، أكثر من ١٤ ساعة ووصلنا بعدها «دير الزور» والإجهاد يكاد يقتل أنفاسنا، ثم فوجئنا بأنها بلد صغير لا تميز في معالمها إلا شارعاً طويلاً واحداً، وفندقاً واحداً! وانتظرنا حتى أعدت لنا حجرات في هذا الفندق اليتيم، ولاحظنا أننا بين قوم يختلفون تمام الاختلاف عن أهل حلب وبيروت.

على أنيل ما يرام:

وبدأت حفلتنا في المساء، برواية كوميدي من فصل واحد، وبذل الممثلون أقصى جهد ممكن، وانشالوا وانهبدوا على المسرح.. ولم يبتسم أي متفرج! كان الممثلون أمامهم قطع من الشطرنج بلا روح ولا قلب! وانتهت الرواية على (أنيل ما يرام).

ثم ظهرت راقصة على المسرح، وفجأة هلل حضرات أهل دير الزور، وصفقوا، وكأنما مستهم الكهرباء! وقلت لنفسي: دي مصيبة سودة؟.. وما العمل، وأنا رجل بمفردي، لا رواية، ولا نيلة، وشكلي مش ولا بد؟.. ثم ألقت المرحومة ببا عز الدين منولوجاتها.. ألقتها بلهجة سريعة، ولكن الجمهور صفق لها طويلاً، كسيدة على المسرح. وجاء دوري.. وألقيت منولوجي الأول، كلمة كلمة، وببطء، حتى استطاعوا أن يفهموني، ثم تجرأت وقلت لهم نكتة بسيطة، فابتسموا ثم ضحكوا.. وانتهى دوري، وتحقق لي النجاح، وهذا هو دور الفنان.

وساءت العلاقات:

كنت فرحاً بنجاحي بين جميع أفراد الفرقة، وما إن تركت المسرح، حتى قلت لصديقي اللذيذ عبد العاطي الموسيقي: شايف النجاح اللي زي البمب، مش زي ببا اللي طلعت زي «الجلة».. وإذا بعبد العاطي، يغمز لي بعينه وكأنه يحذرني.. إذ أن السيدة ببا كانت وراء ظهري!.. ومن ذلك اليوم ساءت العلاقات بين المرحومة ببا، وإسماعيل ياسين.

وكان المفروض أن نقيم أربع حفلات في دير الزور، وفعلاً مكثنا بهذه المدينة القاحلة، أربعة

أيام، ولكننا لم نقدم ولا حفلة!.. إذ أن الأمطار هطلت بغزارة وأحيط الفندق بالمياه من جميع الجهات.. مما اضطرنا أن نعتقل أنفسنا في حجراتنا حتى حل اليوم الرابع، فانقطع المطر.. وقررنا الرحيل إلى بيروت.. وعملنا في بيروت أربعة أيام سافرنا بعدها إلى دمشق.. وفي عاصمة سوريا رأيت العجب العجاب..

إنذار من إدارة الأمن العام:

بعد ثلاثة أيام من وصولنا، تلقت الفرقة إخطاراً من إدارة الأمن العام، بأنها تحذر الممثلات والراقصات من الاختلاط بالجمهور، لأن هذا الاختلاط، يأخذ مظهرًا تأباه القاليد الدينية للعاصمة السورية.. وخاصة أن النساء السوريات كن محجبات.. ولكن ماذا كان في إمكان السيدة ببا أن تفعل مع نساء الفرقة؟.. كن طائشات متهوسات تغريهن كلمات الإعجاب، وقد اعتقدن أنهن تحررن من كل القيود، ومن خارج القاهرة.. والأمر في دمشق، يختلف عن بيروت. دمشق فيها رجعية التقاليد، وبيروت فيها تحرر من هذه التقاليد.

والطريف أن جميع المعجبين بفتيات الفرقة من بيروت قد انتقلوا مع الفرقة إلى دمشق! فالمسافة بين المدينتين ساعتان فقط.. فكان من الصعب على «ببا» إذن أن تحكم عليهن الحصار. ولكن دمشق كلها ضجت بالثورة ضدنا.. فعقدت السيدة ببا اجتماعاً (فوق العادة) لجميع نساء الفرقة في الفندق، وطلبت إليهن في لهجة حازمة أن «يلموا نفسهم» شوية.. وخاصة أن النجاح كان حليفنا في دمشق. وانتهى الاجتماع الخطير.. وخرجت الزميلات الفاضلات، كل منهن إلى موعدها مع صديقها! وهات يا فسح وهات يا سهرات! وبدأ علماء المدينة يتخذون ضد الفرقة إجراء حاسماً، بعد أن أنذرت «ببا» من إدارة الأمن العام أكثر من أربع مرات.

أقفلت الأبواب تحت حراسة البوليس:

وأخيراً اتفق على حل، في اليوم السابع. وكان هذا الحل، هو أن رجال البوليس، يقومون بنقل جميع أفراد الفرقة بعد انتهاء العمل. من المسرح إلى الفندق، ثم يغلق علينا باب الفندق!

فقلنا: طيب واحنا يا رجاله مالنا ومال كده؟..

وطالبنا بأن يقتصر تطبيق هذا القرار البوليسي، على النساء فقط، ولكن قيل لنا إن أمر إدارة الأمن العام شامل للجنسين الخشن قبل اللطيف!.. فشكرنا للبوليس السوري اهتمامه بنا نحن الرجال! وفعلاً. أقفلت علينا أبواب الفندق، ومكثنا بداخله نتسلى بلعب الورق تحت حراسة البوليس. ثم وقعت المفاجأة الكبرى! كانت الساعة الثالثة صباحاً، وإذا بدق عنيف على باب الفندق.. ففتح الباب، ورأينا اثنين من البوليس السوري، وقد أمسكا بثلاث سيدات من أعضاء الفرقة كن في الخارج! فنظرنا إليهن في دهشةٍ: كيف خرجن من الفندق، وقد أقفلت الأبواب

علينا جميعاً.. والفندق من الخارج في حراسة البوليس؟.. وأجاب رجلا البوليس.. هايدو نطو من الشباك!

وعلا الخجل وجوه الزميلات الفاتنات وقالت الأولى: «أصل الدنيا حر قوي، فنطيت أشم الهوا؟! وقالت الثانية: «سقط مني جنيه، فنطيت من الشباك أجيبه!» وكانت الثالثة صريحة فقالت: «صديقي كان في انتظاري.. وكان يجب أن أذهب لأعتذر له»!.

وثارت المرحومة ببا، ثورة مضرية، وأذكر أنها شدت شعرها بيديها في عصبية بالغة، وهى تنهر هؤلاء الفتيات الطائشات. وكانت النتيجة معروفة.. تلقينا في الصباح المبكر، أمراً بأن تغادر الفرقة دمشق فوراً!

علماء الدين ينتصرون:

وحاولت ببا وزوجها الأستاذ أنطوان عيسى، مقابلة الأمير الأطرش للتوسط لدي جهات الأمن العام، ولكنهما فشلاً.. فذهبت ببا إلى وزارة الداخلية فقيل لها: إذا لم تسافري أنت وأفراد فرقتك حالاً من المدينة فإننا سنضطر إلى القبض عليكم جميعاً بغير استثناء. ولكن ببا استطاعت بعد جهد جهيد أن تحصل على أمر من حاكم المدينة في الساعة الرابعة بعد الظهر ببقاء الفرقة تحت شروط تعهدت بالتزامها. ولكن مفاجأة جديدة برزت في الطريق. لقد سمع علماء دمشق، بتصرف الحاكم، فعقدوا اجتماعاً خطيراً واتخذوا قراراً جديداً. وكان هذا القرار، هو أنه على حاكم دمشق أن يلغي قراره، ويصدر أمراً جديداً، بأن تسافر الفرقة فوراً خوفاً على شباب دمشق!

وقد كان.. فقد أصدر حاكم دمشق في الساعة السادسة من المساء، قراراً بإلغاء أمره الأول.. وكان علينا أن نسافر من دمشق. وفي ذلك اليوم، علمت مدى نفوذ رجال الدين في عاصمة سوريا. ولم يكن الأمر الجديد مقصوراً على دمشق فقط، ولكن كان شاملاً لسوريا كلها. ونزل هذا الأمر على ببا نزول الصاعقة، وبكت بكاء مراً.. والذي يدهش حقاً أن ببا كانت تبكي، بينما كانت حضرات الزميلات في فرحة كبيرة!.. فقد أبلغهن أسعد مصطفى مدير الإدارة بأن السفر إلى بيروت، وما أن سمعن كلمة بيروت حتى أخذن يرقصن!.. لقد كانت العودة إلى بيروت هى السعادة الكبرى لهن.. كانت عودة إلى الحب المحرم!

محنة الفن:

وفي الطريق إلى بيروت فاضت نفسي بتعاسة كبرى، لقد خرجنا من دمشق كاللصوص.. لا كفنانين. خرجنا تشيعنا لعنات رجال الدين، وقصص تروى ولا تنتهي في كل بيت من بيوت

هذه العاصمة الإسلامية، وهذه هي محنة الفن في الشرق. محنته في المتطفلين عليه، في الذين يرون فيه إثارة للغرائز وإلهاباً لمشاعر الجسد، باستغلال فتيات لا هدف لهن ولا وعي، ولا رباط بينهن وبين شيء يسمو إلى دنيا الفنون.. مكثنا في بيروت بضعة أيام.. ثم قصدنا إلى القدس وحيفا ويافا ثم غزة.. وبعد ذلك عدنا إلى القاهرة.

عدنا إلى زجاجات البيرة:

وكانت السيدة بديعة مصابني قد افتتحت كازينو أوبرا، وعرضت عليّ العمل فقلت لها: الزباين يا مدام كلهم إنجليز.. ماذا سيفهمون؟..

قالت: ملكش دعوة.. اطلع قول منولوجاتك وخلاص.

وفي يوم عملي، وقبل ظهوري على المسرح مباشرة، انطلقت زمارات الإنذار.. وأُطفئت الأنوار، واستمرت الغارة أربع ساعات كاملات! فنظرت لي بديعة نظرة اشمئزاز وكأني سبب الغارة.. فقلت في نفسي: وأنا مالي؟..

ولم تستطع بديعة أن تعرض في ذلك اليوم إلا ثلاث نمر رقص، وفي اليوم التالي ألقيت منولوجاتي، وكان نصيبي زجاجة بيرة فارغة. ثم ظهرت بديعة على المسرح إنقاذاً للموقف، فكان نصيبها أكبر من نصيبي.. ست زجاجات بيرة تهوى عليها.. فانخلع من صدرها بروش من الماس لا يقل ثمنه عن ثلاثة آلاف جنيه.

ومرت الأيام.. واستمرت زجاجات البيرة تهوي على رؤوسنا، واشتدت الغارات بشكل مروع، وارتفعت الأسعار ارتفاعاً مزعجًا.. وإذا ببديعة لا تقبل أن ألقي منولوجات بحجة أن الإنجليز ما يفهموش حاجة!.. وكنت قد اقتصدت ٢٢٠ جنيهاً هي كل رأسمالي في الحياة، وكنت أضعها دائماً في جيب البنطلون الخلفي.

ثم طلبني حسين المليجي للعمل معه في روض الفرج، وكانت تنافسه فرقة على الكسار.. في ذلك الوقت رأيت منولوجست خفيف الروح، أعجبت به جداً.. وكان اسمه لم يظهر بعد.. وهو الزميل الفاضل محمود شكوكو.

نقطة التحول في حياتي:

ومرت الأيام.. وانتقلت من مسرح إلى مسرح.. وكنت أحس أنني بدأت أصعد السلم، وبسرعة..

وعملت في السينما. بدأت بفيلم «أحب الغلط» ثم تتابعت الأفلام.. وتتابع النجاح وهذا ما سأعرض له بالتفصيل في الفصول المقبلة من مذكراتي.. ولكنني أسجل الآن أخطر نقطة تحول في حياتي، أسجل تاريخ انتقالي من حياة إلى حياة. كان ذلك في يوليو عام ١٩٤٥، عندما حضر عندي الأستاذ أحمد رفعت (الذي أصبح يوماً مديراً لفرقة شكوكو).. حضر وقال لي: سأكون فرقة من الأستاذ على الكسار ومنك في روض الفرج.. فقبلت بطيب خاطر.. وذات ليلة، بعد أن انتهيت من منولوجاتي، جلست في حديقة المسرح مع السيدة رجاء زوجة الصديق أحمد رفعت.. ولكنها لم تكن وحدها.. كانت إلى جوارها سيدة أخرى. نظرت إلى هذه الضيفة، فإذا بي كأنني أعرفها منذ ولدت.. كأننا تربينا ونمونا في مكان واحد. كأنها نصف آخر هرب مني يوم مولدي ثم وجدته الآن فقط.

وإذا بي أرتبك، وأضطرب قبل أن أمد إليها يدي للسلام، وإذا بي أجلس إلى جوارها صامتاً، وكأن لسان قد تجمد، وشعرت بصدري يعلو وينخفض على الرغم مني، كأنني كنت أجري إليها في سباق طويل. جلست صامتاً، ولكنني تخيلت أنها تتحدث إلي. وتخيلت أنها تبادلني نفس هذا الشعور الطارئ العجيب.. ورحت أسبح في أوهام لا نهاية لها ولا حد.. ثم انتبهت فجأة، فإذا بي شارد في صمتي، عاجز عن النطق. رأيت وجهها، وكأنه صورة رسمت لتلاقيني.. لأقف أمامها متأملاً كل ذرة منها.. وكأن قصصا طويلة جمعتني مع هذا الوجه. كانت بلا رتوش.. بلا بودرة أو أحمر. خمرية البشرة، هادئة الملامح، دافئة العينين، فيها براءة وفيها سكون صاخب كالأمواج. فيها سذاجة، وفيها حياة عامرة بأحلام غامضة، ولكنها حلوة لذيذة مخدرة. ثم حل بي ضيق شديد.. أحسست فجأة أنها في عالم آخر بعيد عني.. شعرت أني أنا فقط الذي عشت معها هذه اللحظات. خيل لي إنني أنا وحدي الذي بدأت أحترق. فإذا بي أتصور أنني أعاتبها على هذا السكون، وآخذ عليها هذا التجاهل.. ثم تصورتني أصرخ في وجهها : أنت قاسية.. أنت ظالمة.. تكلمي. ولكنني أعود فأراها أمامي كما هي.. وكأن أحداً لم يجلس إلى جوارها. وكأنها لم تسمع همساً من ندائي. وفقت من هذا الحوار الحالم الواهم.. وتمالكت نفسي وقلت لها وأنا أتلعثم كطفل يتعلم الكلام:

- تشربي سيجارة..

فرمقتني بنظرة خاطفة، مرقت إلى صدري كسهم نفاذ.. بل لمعت أمام ناظري كوميض أخاذ. فانتابتني رجفة كالمحموم.. وفقدت زمام نفسي من جديد!

ثم قالت:

– لا ... ميرسي .

فسمعت صوتها لأول مرة. هو هو كما رن في أذني وأنا أتخيل أنني أحاورها وأعاتبها، ناعم ، لين، حنون له رنين كترانيم العذارى. فعدت إلى ارتجافي واضطرابي، وجرى كلحن عذب.. يربطني إليها برباط مقدس.. واقتصر حديثنا على هذه الكلمات.. وانتهي برنامج المسرح.. وانصرفنا.. انصرفت هي من باب.. وانصرفت أنا من باب آخر.. ثم ركبت الترام.. فإذا بي أجدها جالسة أمامي!!

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٣ في ١٩٥٣/١٢/١٤

مذكرات إسماعيل ياسين (٨)

-- وانتهى الفيلم وبدأت حياتي!

كانت جالسة في الترام، مع زوجة صديقي.. وأنا كنت جالساً بجواره، فابتسمت لها، وأبديت لنفسي سروري بلقياها ثانية، ولكنني لم أستطع أن أعبر عن هذا السور بالكلمات.. ولمحت ارتياحاً على ملامح وجهها، فتشجعت وتكلمت.. قلت:

- حضرتك من مصر..

فقالت في هدوء – لا من إسكندرية .

- أهلاً وسهلاً.. أنت لازم تكوني في مصر على طول.. ولكنها لم تعلق على هذا الإطراء بشيء ما. ولكنني تابعت الحديث قائلاً: وإن شاء الله ناوية تقعدي في مصر.

فقالت: إن شاء الله..

فأحسست إن (مافيش فايدة) من الكلام.. وهذا ما ضاعف لهفتي على التعرف إليها.. كنت في لحظات الترام القصيرة، أريد أن أعرف عنها كل شيء.. أين تعيش؟.. وكيف؟. وأين عائلتها؟ وكي يمكن أن أراها؟. وهل أستطيع ذلك؟.. وعشرات من الأسئلة التي احتبست في صدري، كحمم بركان يوشك أن ينفجر. ولأول مرة أحس بالخجل، كنت أخشى أن تسمع أفكاري فتهزأ مني! وعند محطة الترام، التي تسبق نفق شبرا، نزلت ضيفة الإسكندرية مع صديقتها وزوجها. وكأن إلهاماً من السماء حل على لسان صديقي، فدعاني لتناول طعام الغذاء معه في منزله في اليوم التالي. فقبلت الدعوة على الفور. ونظرت إلى الضيفة، نظرة مختلسة، وكانت عيناي تقولان لها: سأحضر لأراك؟!! ولكن نظرتي تاهت في زحام النازلين من الترام.. وعادت لتتفاعل في قلبي، كعاصفة هوجاء، تهزني في عنف، وكأن جسدي قد استحال إلى عود لين!

سعادة الأطفال:

وأعترف أنني لم أنم في تلك الليلة.. كنت سعيداً، كالطفل الغرير الذي كان يحلم بلعبة، ثم حصل عليها، وأمضيت ساعات الليل الطويلة، وأنا أعد نفسي للقاء الغد، كيف أسلم عليها؟.. هل أضغط على يدها قليلاً؟.. أو أسلم سلاماً عاجلاً وأرمقها بلفتة تعبر عن مدى لهفتي على

رؤيتها؟.. ثم كيف أبدأ الحديث؟.. وكيف أفتح الكلام عن الرجل والمرأة والزواج والبيت والأولاد.. والحب؟.. وإذا تجاهلت محاولاتي، فكيف أشرع في محاولة جديدة؟..

.. وهكذا، حتى مطلع الفجر، وسمعت صياح الديك الذي رن في أذني كأنه موسيقى نشيطة تصيح بي: قم من أحلامك أيها الولهان.. وذهبت إلى منزل صديقي الأستاذ رفعت قبل موعد الغذاء. وكانت مفاجأة.. وجدت صديقي وحده، ولم أجد زوجته ولا صديقة زوجته.. ومر وقت قصير، وبدا لي كأنه تجاهل هذا الموضوع الهام.. أما أنا فلم أستطع أن أسكت.

فقلت له: أمال فين الست؟..

فأجاب: هي جوه مع ضيفتها.. أجاب ببساطة، وهو لا يعرف أن هذه إجابة قاتلة.. ثم قال:

– هما حيتغدوا لوحدهم.. واحنا لوحدنا.

– يا نهار أسود.. أمال أنا جاي أعمل إيه؟.. فكدت أجن. وتناولت الطعام، فنزل الأكل في بطني كالأحجار.. وهممت أن أطلب من صديقي أن يدعو صديقة زوجته للجلوس معنا.. ولكنني خجلت، ثم طمأنت نفسي أنني سأراها ولا شك في المسرح.. ونزلت مع صديقي رفعت وذهبنا إلى روض الفرج، وقبل رفع الستار، أخذت أدقق النظر في الحاضرين، ولكنني لم أجدها! لقد حضرت زوجة صديقي وحدها! فلم أتمالك نفسي وأنا أسألها: أمال فين صاحبتك؟..

قالت: مين.. فوزية؟..

قلت: أيوه.. فوزية.

وفي هذه اللحظات، عرفت طبعاً أن اسمها فوزية..

فقالت: لقد سافرت إلى الإسكندرية!

الفنان والإلهام:

وطلعت على المسرح في تلك الليلة، وكان انشغالي بالتفرس في وجوه المتفرجين أكثر من اهتمامي بإلقاء منولوجاتي.. كنت أمني نفسي، أنها لم تسافر.. وأنها ستحضر إلى المسرح لرؤيتي.. ولمحت في الصالة، سيدة تشبهها.. فاهتممت بأن أجيد على المسرح، وكنت أرجو أن تعجب بي كفنان.. فتلهمني وما أتعس الفنان إذا عمل بوحي إلهام غير موجود إلا في خياله.. أنه يعيش طوال حياته يبحث عن الحقيقة الشاردة من نفسه.. وقد لا يجدها. وكنت أحس أنا في ذلك الوقت، أن الإلهام ينقصني.. وأنني أغني للمجهول. وانتهيت من منولوجاتي، وأسرعت

إلى الصالة، وخاب ظني، فالسيدة التي لمحتها لم تكن هي.. بل لم تكن تشبهها في قليل أو كثير.

إذن فقد سافرت حقاً إلى الإسكندرية سبحان الله.. سافرت! وبهذه السرعة؟ وأين أجدها؟.. وتأكد لي أنها لم تتجاوب معي في ذرة من مشاعري، ومرت ثلاثة أيام، وأنا تائه في أفكار متضاربة، ومشاعر متباينة، واستطعت أن أعرف أين أجدها في الإسكندرية، وصممت على السفر خصيصاً لرؤيتها فقد أصبحت عاجزاً عن الكتمان.

اللي يحب النبي:

ثم جد شيء طريف جديد في حياتي، ألهاني قليلاً عن فكرة السفر، اشتريت سيارة فيات صغيرة، - صنف اللي يحب النبي.. وكانت لي مع هذه السيارة مغامرات، تفوق مغامرات عنتر وعبلة! وكانت المشكلة التي حيرتني، هي كيف أقودها إلى الوراء؟. وقد تخرشمت وخرشمتني عشرات المرات. ويااليتك يا ياسين كنت موجوداً لترى والدك، وهو يجري في شوارع شبرا، تائهاً في بحر من النار، عاوز أروح شمال، أروح داخل يمين، عاوز أهرب من الترماي، أخش في الترماي.. أدخل في شارع شبرا، أروح داخل في حارة قطة! ولكنك يا ولدي كنت في عالم الغيب!

ولكن....

ولكن هذا اللهو البريء مع هذه السيارة «الأكروبات» لم يشغل ذهني حقيقة عن التفكير في «فوزية». ثم شاءت المصادفات السعيدة، أن تسافر فرقة الكسار إلى الإسكندرية فرحبت بالسفر، وركبت «الفيات» المعتبرة وعلى الطريق الصحراوي يا سفروت! وكان أول ما فعلته طبعاً أن أرى شريكة قلبي.. رأيتها من بعيد تخرج من دارها.. فأخذت أتتبعها، وأنا أكاد أطير على الأرض التي تسير عليها. ولم أجد الشجاعة في أن أتقدم للسلام عليها، خشية أن تعتقد أنني رجل (بصباص) وأنني أريد معاكستها.. تبعتها بعض دقائق، ثم خشيت أن تراني، فاختفيت وأنا أضع يدي على قلبي.. وأضحك.. أضحك بكل ذرة في حواسي.. تماماً كما تضحك أنت الآن يا ياسين عندما أقدم لك شيئاً تطلبه.

هذا هو الحب :

وفي اليوم التالي، وقفت بعيداً عن بيتها ساعة كاملة، ولكنها لم تخرج.. ولم تطل من نافذة.. وانتظرت ساعة أخرى وثالثة، وكنت أريد أن أقتحم المنزل، وأدق على الباب، وأصرخ في وجهها «إزاى ماتنزليش لغاية دلوقت!.. ألا تعرفين أنني ألتهب؟..؟.. ولكن بأي حق أستطيع أن أفعل هذا؟ وهى بعد لم تر خلقتي إلا في لقاء عابر، لم يتجاوز خمس دقائق في القاهرة؟.. وما أدراها أنني أكتوي بهذا السعير.. الذي اسمه الحب!.. الحب الخالق من جديد. إنه من روح الله. إنه هبته الكبرى، ينبتها في قلب الإنسان والطير.. وكل حي نابض على هذه الأرض.

ولم تعرني اهتماماً

ثم استطعت أن أقابلها، بوساطة صديقتها، وتحركت شفتاي بالكلام.. ولكن شيئاً غامضاً في نفسي قال لي: لا لا تقل شيئاً. إنها تعرف الكثير. إن هذه الثورة الروحية التي اشتعلت في قلبك، لا بد أن دفئها يعمر في قلبها أيضاً. فلم أتكلم.. إلا بالسؤال عن الصحة والأحوال والتمنيات الطيبة. ولكني حشرت في كلماتي ما تستطيع أن تدرك منها. ما أنا فيه، ولكنها لم تعرني اهتماماً! فكتمت الألم في قلبي.. ولم أفاتح إنساناً بحقيقتي. ومن يصدقني، إذا قلت إنني عاشق من أول نظرة، من يثق في كلامي، إذا صرخت.. أنني معذب، لا أنام، ولا أشعر باليقظة!.. ومن ينصف القلوب، إلا من استعبدته القلوب؟

وكيف أنسى:

وصممت أن أنسى . ولكن كيف أنسى؟.. ووجهها وصوتها وأنفاسها وكل شيء فيها يطاردني في كل مكان، وأنا أمامه كالجندي المهزوم... لا أستطيع إلا أن أجري وهو يلاقني، ثم لهثت.. ولهثت من شدة المطاردة، فقررت أن أقف.. أن أواجهها.. أن أقول لها كل ما يعتمل في جوارحي وليكن بعد ذلك ما يكون.. فلتقل لي إنها لا تشعر بوجودي، فلتحكم بإعدامي بكلمة تنطقها! وانتهزت يوماً، فرصة انشغال صديقتها في حديث مع سيدة أخرى.. وقلت لها: فوزية.. احنا مش حانشوف بعض؟..

لا أو نعم:

فسكتت.. ولم تجب، بلا أو نعم، فأوقعتني في حيرة جديدة.. ولكنها رمقتني بنظرة تحمل أكثر من معنى، فيها تقدير لمشاعري.. وفيها سؤال خبيث يقول: «ولكن هل تستحق مني أن أضحك قلبي؟..» وارتبكت أنا.. ولم أعاود سؤالي. ثم علمت، أن نصائح عظيمة من بعض الأصدقاء، قد وصلت إلى أنها تحذرها مني، وتشير عليها بالابتعاد عني، لأنني رجل شرير، زير نساء.. تزوجت مرتين، وطلقت مرتين!

سأراك غداً:

ثم حدث ذات يوم ما انتظرته من شهور.

قالت لي بغير مقدمات: سأراك غداً..!

- وأين؟

- في الإبراهيمية..

وحطيت «ذيلي في أسناني»، وذهبت في الموعد.. ووجدتها تنتظرني عند محطة الإبراهيمية. وكنت قد حضرت في الترام، لأن «الأكروبات» أصيبت بتهشم في عظام الرأس، بسب لوري ضعيف البصر. وذهبنا إلى سينما «لاجيتيه» في الإبراهيمية. سرت معها جنباً إلى جنب حتى وصلنا إلى دار السينما.. وكان صدري ممتلئاً زهوا وفخراً وغروراً. أخيراً تحقق الحلم، الذي أرقني أياماً طويلة في القاهرة، وها هي إلى جواري.. وجلسنا في مقاعدنا.. وأطفئت الأنوار، وبدأ عرض الفيلم، والحقيقة يا ولدي.. أننا لم نشاهد من الفيلم شيئاً!..

أخذنا نتهامس بأعذب كلمات تبعث من قلبين، هي كلمات خالدة لا يبليها الزمن وترددها كل الألسنة، ولكن ما أروعها إذا رددتها القلوب.

قالت – أنت بتحبني صحيح؟

قلت – أعبدك عبادة.. ولكن طمئنيني على نفسي، أنت حقيقة بتحبيني؟

قالت.. أيوه..

قلت: أنا أعرض عليك الزواج

قالت: وأنا موافقة

قلت: وتعيشي معايا على الأرض؟

قالت: أعيش معاك على البلاط إن كنت عاوز.

قلت: أنا راجل فقير

قالت: وأنا حأعمل إيه بفلوسك؟

قلت: سأعود إلى مصر وأنتظرك

قالت: وأنا سأحضر إلى مصر.. وانتهى الفيلم، وبدأت حياتي.

مجلة الجيل الجديد العدد ٩٦ في ١٩٥٣/١٢/٢١

مذكرات إسماعيل ياسين (٩)

تزوجت على مرتبة محشوة بالطوب والتراب

وعدت إلى القاهرة، وهيئ لي أن القطار كأنه سفينة من الحرير الأبيض، في بحر من الأعلام.. كنت أبتسم دائماً من غير سبب.. كنت أضحك في وجه من أعرفهم ومن لا أعرفهم.. حتى الليل كنت أرى فيه نوراً.. انقلبت إلى إنسان متفائل، من كل شيء. وأمضيت بضعة أيام في انتظار خطاب من خطيبتي فوزية، تنبئني فيه بموعد عودتها إلى القاهرة.. بموعد مجيئها إلى بيت الزوجية. سيصبح لي بيت، أي سأصبح إنساناً جديداً، يشاركه في «الحياة قلب أحبه منذ اللحظة الأولى، وسيحبه حتى آخر لحظات الحياة".

سأحضر:

ولكنها لم ترسل الخطاب الموعود.. وخجلت من كثرة سؤال البوسطجي كل يوم عن الخطابات. وبدا لي أن كل من حولي قد عرف أني عاشق ولهان.. وأني لا أستطيع صبراً.. فأرسلت إليها خطاباً.. من سطرين اثنين فقط. قلت لها: احضري فوراً.. قبل أن يصيبني الجنون.. احضري إلى من يعبدك.. وجاءني ردها في اليوم التالي تلغرافياً.. سطر واحد:

"سأحضر يوم ٢٧" (أكتوبر سنة ١٩٤٥).

وانتظرتها في محطة القاهرة، ولو طاوعت نفسي لانتظرتها في محطة الأسكندرية!! وذهبنا على الفور إلى صديقي أحمد رفعت. كان يجب أولاً أن نبحث عن منزل. ثم نعد الجهاز.

مع الخواجة جورج:

وكان كل شيء سهلاً.. قال لي إيزاك ديكون معلم الرقص أن له صديقاً اسمه جورج يسكن في شقة بالعباسية، ومستعد للعزال مقابل خلو رجل.. وقصدنا في الحال إلى جورج.. وازي الصحة يا خواجة جورج، عاوزين الشقة يا خواجة جورج..

- مافيش مانع يا خبيبي.. شخشخ فلوسك يا خبيبي.

- عاوز كام يا خواجة جورج.

- ١٠٠ جنيه يا خبيبي.

- كفاية ٧٥...

- ألشان خاطر إيونك يا سمعة..

وكتبنا العقد للشقة الجديدة في شارع العباسية رقم ٧٩ ب. وكانت مكونة من حجرتين.. «إنما دمهم خفيف».

الجهاز من أوريكو والأزهر:

وبدأنا التجهيز.. واشتريت من أوريكو: ٦ أطباق صاج، و٦ أكواب و٦ ملاعق، و٦ شوك، و٣ بوابير بالفتيل: و٦ أطباق صيني، و٣ حلل ألومنيوم و٣ مغارف ومصفى ومنخل ومطبقية.. ولم أستطع شراء «فريجيدير» فاستعملنا الخيشة للثلج! وذهبت إلى شارع الأزهر واشتريت: طقم ٤ كراسي وكنبة بـ ٢٣ جنيهاً، وطقم قش بتسعة جنيهات و٤ كراسي وترابيزة.. ومرتبة من شارع الصنادقية بأربعة جنيهات ومخدتين وثلاث ملايات فرش وأربعة أكياس وخيشة مسرح من الغورية. واستعددنا لعقد الزواج يوم الخميس، ليلة غناء أم كلثوم، وقام بالعزومة أحمد رفعت وزوجته، وكان المدعوون أنا وفوزية ومحمد الشاطبي وزوجته فقط.. وأحضرنا زجاجة شربات ورد، وحضر المأذون وقال:

قبلت الزواج منها... وهلم جرى..

في بيتي ولو كان ملحاً:

وهكذا تم زواجي بأمك يا ياسين. وبدأت أمك معي حياة جعلتني أؤمن بأنني موجود وبأني أعيش. ودعوتها في اليوم التالي للجلوس في روف كازينو بديعة وأردت أن أفاجئها بتناول الغداء، فطلبت «كفتة وكباب".. وإذا بها تقول لي: لا .. لن آكل هنا سآكل في بيتي.. ولو كان عيشاً حافاً وملحاً.. أنا مش بتاعة ريستورانات. وفعلاً أخذنا الطعام معنا وعدنا إلى المنزل وأكلنا، في سعادة كاملة. ولعلك تستطيع يا ولدي أن تدرك ما عليه أمك من صفات في هذه التصرفات التي تبدو بسيطة في مظهرها.. ولكنها عميقة في قلبي. أذكر دائماً يا ياسين أن أمك هي صاحبة الفضل الأول على والدك.. ومن ثم عليك.

هذه هي أمك:

وسأحدثك عنها الآن.. حديث الزوج وحديث الأب. هي في الثامنة والعشرين من عمرها خمرية اللون، لا سمراء ولا بيضاء، ولكن تجري فيها دماء مصرية خفيفة الروح. غيورة.. إلى أقصى حدود الغيرة. قلبها أبيض كالشمع، وهى تحترق لتضيء أمامي الطريق.. مخلصة، محافظة..

لا تحب الأبيض والأحمر والبودرة والريميل، وأنا الذي أضطرها إلى التزين إذا ما خرجنا سوياً. لا تحب التهاون في حقوقها الزوجية، ولا تقبل التعسف من أي إنسان.. ولو كان زوجها الذي تعيش لإسعاده. نظيفة، نقية، لا تختفي الابتسامة عن وجهها. عيناها تشعان حرارة غريبة، أشعر منها بالدفء في «عز البرد». خيالية.. تبكي في السينما، وفي المسرح وخاصة في روايات يوسف وهبي، متفائلة بالخير دائماً، وهذا مما شجعني في حياتي. فيها حاسة روحية غريبة، تجعلها تتوقع المستقبل، قنوعة، مؤمنة، صبورة. بعد أن تزوجنا، أردنا أن نعيد تنجيد المرتبة، ولما فكها «المنجد» وجدنا بطانتها خليطاً من الطوب والتراب.. فلم نتألم أو نتوجع بل جعلت من هذا المظهر، نكتة اضحكتنا طوال اليوم. تؤمن أنها سبب نجاحي وسعادتي، فوجهها لا يعرف إلا التبشير بكل ما هو جميل. أبعدتني عن أصدقاء السوء وأبعدتني عن المقامرة في السباق. وحرمتني الجلوس على المقهى بسبب وبغير سبب. وأصبحت أعشق بيتي. وهذه نعمة من عند الله. كافحت معي الفقر والحرمان في بساطة وإشراق. سجنت نفسها في شقتنا الصغيرة، حتى هيأ لنا القدر أن نحصل على كل ما نشتهي.

إنه الحب:

وقد نتشاجر.. ونغضب.. وقد نثور، ولكنها لا تتركني أبداً، أذهب إلى عملي قبل أن نتصافح وننسى السيئات العابرة. وقد مر على زواجنا ٨ سنوات.. ولكني لا أستطيع إلا أن أتحدث إليها بالتليفون كل ربع ساعة وأنا خارج المنزل.. ولو كان الأمر بيدي، لتحدثت إلها كل دقيقة.. وهى أيضاً، في مثل شعوري، إنه الحب.

ثم تعاقبت الأيام.. وظهرت في الوسط الفني وجوه جديدة.. نجحت ولمعت.. ظهر شكوكو والجنيدي وعمر الجيزاوي وإلياس مؤدب وتتابع عملي في السينما وعلى المسرح.. وبدأت خطوات حياتي تتدرج إلى أعلى بفضل الخالق سبحانه وتعالي. ثم بنى صاحب البيت دورين كبيرين فوق شقتنا، فأجرتهما، واشتريت غرفة نوم «قرو» وغرفة طعام، وصالون وانتريه!

ثم انتقلنا إلى منزل جديد بشارع الملكة نازلي رقم ٣١، وكان بالشقة ٥ غرف فاشترينا غرفة نوم جديدة للضيوف.. واستبدلت السيارة الفيات الصغيرة، بسيارة كريزلر ثم بونتياك.

بشائر مولدك:

ومرت شهور سافرت بعدها إلى الإسكندرية مع فرقة صديقي أحمد.. وذات مساء.. وكنت أعمل في مسرح سبورتنج بالإسكندرية وجدت زوجتي في المسرح!!

- مالك..

- تعبانة؟

- فيه إيه؟

- مغص.. مغص شديد..

فقصدت بها إلى الدكتور أنيس الخشن.. فطلب منها، أن يعاود الكشف بعد شهر وقصدنا إليه بعد شهر.. فإذا به يقول لي: مبروك يا إسماعيل..

- خير يا دكتور .

- ستصبح أباً!!

ومرت الأشهر التسعة، وكلانا يفكر فيما ستكون عليه يا ياسين؟.. هل سنراك طفلاً جميلاً كوالدتك؟.. أو زي أبوك (ومش عاوز أقول وحش)!

وفي صباح ٢٠ مارس سنة ١٩٤٩، كانت الدكتورة زمزم شريف، تحملك يا ولدي بين يديها. كنت مثل الورد الأحمر! كالزهر في حديقة الأندلس، وكان فمك صغيراً.. صغيراً جداً. (إذا كبر بعدين زي أبوك ماليش دعوة) .

ثم انتقلنا إلى كوبري القبة، وسكنا في شقة بشارع ابن سندر رقم ٢٨.. ثم انتقلنا إلى الزمالك في الفيلا التي نقيم فيها الآن، والتي سجلتها باسمك، وأقمنا لك فيها حفلة عيد ميلاد، شرفني بالحضور فيها جميع زملائي من الفنانين والفنانات. وبعد.. هذه يا ولدي خطوط حياتي وكفاحي.. كتبتها لك وقلبي يرددها، قبل أن يسجلها القلم، عرضت لك فيها نشأتي، وتشردي، وفشلي، ونجاحي.. ووحدتي وحبي.. سجلت لك.. كل ذكرياتي على المسرح.. وبقى أن تسألني يا ولدي: كيف عملت بالسينما؟.. وكيف استطعت أن أحقق وجود شخصية إسماعيل ياسين على الشاشة المصرية؟..

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٥ في ١٩٥٣/١٢/٢٨

مذكرات إسماعيل ياسين (١٠)

١٤ عاماً على الشاشة البيضاء

بدأت في السينما بأجر قدره ١٥ جنيهاً، وكنت سعيداً جداً. وأنا أعمل الآن بأجر قدره ١٥٠٠ جنيه.. ولا تزيد سعادتي الآن بالأجر الكبير. أنا لا أنكر أن تقدم الفنان المادي يعينه على النجاح ويشجعه، ويشعره بالراحة في حياته الخاصة وتحقيق مطالب عيشه في مستوى يمهد له الوصول للكمال.. ولكنني أؤكد- وأقولها مخلصاً – أن النجاح الأدبي للفنان، هو وقود حياته.. هو نوره الذي يهديه الطريق.. هو الدينامو الذي يحركه، ويشعره بوجوده.

كنت سعيداً في أول اشتغالي بالسينما سنة ١٩٣٩، لأن الباب قد فتح لي.. وأنا سعيد الآن لأن تقدير الجمهور لفني هيأ لي النجاح، وملأني شعوراً بالرضا عن نفسي .. الرضا الذي لا ينقلب – ولن ينقلب بإذن الله إلى غرور.. فالغرور هو العدو الأول للفنان، هو الشبح المخيف الذي يحطم الفنان.

رسول من توجو مزراحي:

كان ذلك في سنة ١٩٣٩، حينما دخل علي في غرفتي بشارع جلال، الأستاذ حلمي إبراهيم (المخرج الآن) وقال لي:

- يا إسماعيل الأستاذ توجو مزراحي عاوزك..

- خير.. عاوزني في إيه؟

- حتشتغل في السينما..

هالو جورج:

كانت مفاجأة سارة.. والمفاجآت التي تحقق الآمال، هي نقط السعادة في حياتنا. وأذكر أنني كنت في ذلك اليوم، في أشد الضيق، لأنه لم يكن لي منزل.. كنت أقطن في بنسيون، وعدت إلى حجرتي، وإذا بي أجد جندياً إنجليزياً، وقد استلقى على سريري، ووضع رجلاً على رجل.. واحتل غرفتي..

قلت له: إيه اللي جابك هنا يا جورج..

فإذا به يبتسم ويقول لي: هالو! فأسرعت إلى الحاجة صاحبة البنسيون فقالت لي: أعمل إيه.. طلبوا يأجروا البنسيون، وقعدوا فيه غصب عني! وكان علي أن أجلو.. وفعلاً قصدت إلى منزل صديقي عبد القادر المورلي (وكيل أعمال ببا) في شارع جلال.. وجاءني رسول المخرج توجو مزراحي في هذا المنزل. وهرولت سريعاً إلى استوديو وهبي بالجيزة حيث قابلت توجو، الذي ابتدرني بالقول: أنا عندي لك دور في فيلم على بابا والأربعين حرامي، بطولة الأستاذ علي الكسار.. ودورك هو دور صبي على الكسار.

ثم أضاف: وأنا واثق أنك ستنجح في السينما..

قلت له: أنا شاكر لهذا التقدير، وأرجو أن أكون عند حسن ظنك..

اللبخة داخل البلاتوه:

وعلى الفور أمر بعمل ماكياج لي، وبعد أن انتهي الماكياج بدأت أشعر بخطورة الموقف.. أنها تجربة قاسية.. قد أنجح فينفسح أمامي الطريق، وقد أفشل، وعندئذ لن أدخل عتبة الاستوديو مرة أخرى.. ودخلت البلاتوه، وأفهمني مساعد المخرج تحركي أمام الكاميرا، والإشارات والحركات التي يجب أن أبديها.. والحق أنني كنت شارد البال وفي ذهول.. وأنا أفكر في توقع الفشل، فطلبت منه أن يعيد ما قاله لي مرة أخرى، وتوكلت على الله.. وبدأ التصوير.. وإذا بلساني يتلجم ولا أقول حرفاً.. من لبختي ماكنتش عارف أتكلم، ومن فرحتي أيضاً ماكنتش عارف أتكلم! وبعد دقائق معدودات، نسيت نفسي، وعشت في دوري، وأفقت على صوت توجو مزراحي وهو يقول: برافو يا إسماعيل.. كانت هذه الإشارة، هي كلمة السر التي فتحت الأمل في قلبي.

١٥ جنيه علشان كويس!

وبعد انتهاء العمل في اليوم الأول دعاني توجو إلى مكتبه وقال لي: أنت علشان راجل منولوجست كويس، حأعمل لك كونتراتو بـ ١٥ جنيه! ووقعت على العقد، وكأنني أوقع باستلام شيك بمليون جنيه! واستمر عملي في فيلم «علي بابا» سبعة أيام، قال لي توجو في ختامها إنه أعد لي دوراً آخر في فيلم «تحيا الستات».. والواقع أنه كان مخرجاً ممتازاً.. يحاول أن يصور للممثل كل الأجواء التي سيعمل فيها أمام الكاميرا، ويفهمه دقائق دوره.. فإذا وجد من الممثل استجابة، شجعه، وأظهر إعجابه، أما إذا أخلف الممثل ظنه، ثار وفار، وغضب وعلا صوته..

يشتم نفسه:

كان «توجو» مرعباً مفزعاً داخل البلاتوه.. الكل يخشاه، ويخشى غضباته المشهورة.. وأنا على الرغم من معاملته الطيبة لي- كنت أرتعش وأنا أتحدث إليه. والطريف أنه كان في ثورة الغضب، يريد أن يشتم الممثل، ولكنه حرصاً على كرامة من يعملون معه، كان يشتم نفسه.. كان يوجه إلى نفسه كل ما كان يريد أن يوجهه إلى الممثل فيقول صارخاً: أنا مغفل.. أنا مش ممكن حأفهم حاجة أبداً! ولكنه كان يستحيل إلى إنسان آخر، بمجرد الخروج من البلاتوه، وإنهاء العمل.. كان يستحيل إلى إنسان حليم، بشوش، ضحوك.. كل كلامه مليء بالطرائف والملح. وكان يعمل مه في ذلك الوقت الأستاذ عبده نصر المصور (وكان واد ناصح من يومه) والزميل منير مراد «وهو الآن نجم سينمائي وملحن ناجح»، وبيتشو الماكيير.

أقصر وأنجح دور..

وعمل في فيلم «علي بابا» عدا الأستاذ علي الكسار، الأستاذ محمد عبد المطلب وليلى فوزي.. وقبل أن نعمل في فيلم «تحيا الستات» دعاني «توجو» للعمل في فيلم «الطريق المستقيم»، بطولة يوسف وهبي وفاطمة رشدي وأمينة رزق.. وقال لي:

- اسمع يا إسماعيل ده دور قصير، إنما الفنان يستطيع أن يضيء في دقائق كما يضيء في دور يستغرق ساعات.. وهذا امتحان لك. ومثلت هذا الدور القصير، الذي لم يظهر على الشاشة أكثر من ثلاث دقائق.. وهو دور رجل «سكران»، وأعتقد أنه أقصر وأنجح دور قدمته في حياتي. وكان أجري ٦ جنيهات.

مقالب من الزملاء:

وكان يمثل في فيلم تحيا الستات مديحة يسري وليلى فوزي وأنور وجدي وبشارة واكيم وحسن فايق.. ولما كنت جديداً داخل الاستوديوهات.. فقد تعرضت كثيراً لمقالب زملائي.. وكان أول مقلب شربته من الزميل الصديق أنور وجدي.

قال لي: ادخل على حسن فايق وقل له: ابن بنتك يا أستاذ حسن منتظرك بره وعاوز بدل الجهدية.. ودخلت على حسن فايق وقلت له هذه العبارة التي أملاها علي أنور وجدي بمنتهي سلامة النية، وإذا به يثور في وجهي ويغضب ويشتمني صارخاً: اطلع بره يا مجرم.. ثم اكتشفت «المقلب» لقد كان حسن فايق يغازل إحدى فتيات الكومبارس، وأراد أنور أن يظهره أمامها كشيخ عجوز له حفيد طلب في التجنيد العسكري! فكلفني بإلقاء هذه العبارة التي أثارت الزميل خفيف الروح حسن فايق. وظهرت بعد ذلك في أفلام «نور الدين والبحارة الثلاثة»، تمثيل علي الكسار وإبراهيم حمودة وليلى فوزي، و«مصنع الزوجات» إخراج الأستاذ نيازي مصطفى.

البداية الجدية:

ولكنني أحدد بدء عملي الجدي في السينما بفيلم «أحب الغلط» إخراج الأستاذ حسين فوزي.. مثلت دور مساعد مخرج.. ومثل دور المخرج الأستاذ فؤاد شفيق، وظهر في هذا الفيلم أنور وجدي وحسين صدقي وتحية كاريوكا.. وكلمات لا أنساها قالها لي أنور وجدي في حديقة استوديو لاما خلال العمل، لا تزال مرتسمة أمامي حتى الآن، ولعل لها أثر كبير في إعجابي وحبي لأنور وجدي.. قال لي في حديقة الاستوديو.. وكنا لا نزال مجرد زملاء، لا أصدقاء – قال: اسمع يا إسماعيل.. أنت حقيقي ممثل سينما ممتاز.

قلت له : أشكرك يا أستاذ أنور.

قال: لا .. ماتشكرنيش.. أنا شايفك أمامي بعد سنوات.. ستكون من ألمع نجوم مصر.. وأرجو أن أكون الآن عند حسن ظنه بي. وهنا أحب أن أسجل أن الأستاذ حسين فوزي مخرج ضليع في فنه، يحيط الممثل بكل ما يريده منه، ويرسم في ذهنه دائماً قبل العمل، صورة كاملة لما سيعمله، ولا يقدم أبداً علة عمل ارتجالي.. أقول هذا بكل صدق وعرفان بقدره الفني. وأذكر هنا أن أجري قفز في فيلم «أحب الغلط» من ١٥ جنيهاً إلى ٤٠ جنيهاً.. ونجح الفيلم، ونجح إسماعيل ياسين، وبدأ يشق طريقه..

كلهم أبنائي:

مثلت بعد ذلك عديداً من الأفلام، رضيت عن أدواري في معظمها، ولعلك تسألني يا ولدي: ما هو أقوى دور مثلته في حياتك السينمائية على الشاشة؟.. فأجيبك بكل صراحة: أن الشخصيات التي أمثلها على الشاشة هي مني بمثابة الأبناء الروحيين.. وأنا لا أستطيع أن أفضل منها ابناً على ابن. أنني أحاول دائماً أن أعيش في الدور الذي يطلب مني أداؤه، وأحاول قدر استطاعتي أن ابتكر شيئاً جديداً، في كل شخصية جديدة أتقمصها.. فجهادي هو ألا أكرر نفسي، ولكن في نطاق شخصية إسماعيل ياسين التي عرفها الجمهور على الشاشة. وأحب أن أقول لك يا ولدي إنك قد تسمع عندما تكبر، أن والدك كان يمثل في فيلمين أو ثلاثة أفلام في وقت واحد.. وأن دور السينما تعرض في وقت واحد ثلاثة أو أربعة أفلام في كل منها إسماعيل ياسين. ولكن يجب أن أقول لك، إنني لم أكرر نفسي، في فيلم منها، وليس ذنبي أنها تعرض في وقت واحد.. ولعله مما يرضي إحساسي الفني، أن أفلامي التي تعرض في وقت واحد، تنال نفس التقدير والإعجاب من الجمهور.

الفيلسوف المنكوب:

ولعك تريد أن تسألني يا ولدي: ما هو الدور الذي أتمني أن أمثله.. فأقول لك إن الشخصية

التي تستهويني، وتشبع إحساسي الفني، هي شخصية الرجل المنكوب، الذي يعالج نكباته بفلسفته الخاصة.. شخصية الرجل الذي يحاول أن يسعى دائماً إلى الخير، ولكن يجد الشر بانتظاره..

أمنيتي:

إن أمنيتي يا ولدي أن يستمر إسماعيل ياسين مفرجاً عن القلوب الحزينة، منسياً للناس همومهم.. فقد عرفت الحزن، ولاحقتني الهموم.. أنني يا ولدي أريد أن أستمر في مسح الدموع من عيون الناس، فقد قاسيت كثيراً من الدموع، وذقت مرارتها..

الفن لا أستاذ له:

وقد تسألني يا ولدي: من هو أستاذك..؟

فأجيبك بكل صراحة: إن الفنان الحقيقي لا أستاذ له.. الفن لا يعلم ولا يلقن ولا يسقى بالملعقة.. الفن إلهام غامض من عند الله. موهبة تبعث من القلب والروح.. شيء يسري في الدم، ولا تستطيع تحليله وفصل كراته..

أعصاب مرهقة:

وبعد.. فإن العمل السينمائي، مهنة شاقة.. أنت أمام آلات لا تغفر لك خطأ عابراً.. وتسجل عليك كل شيء.. وهي ترحب بك إذا نجحت.. فلا تتركك في نهاية اليوم إلا أعصاباً منهكة مرهقة، وجسداً هزيلاً.. وعقلاً مكدوداً.

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٦ في ٤/١/١٩٥٤

مذكرات إسماعيل ياسين (١١)

كلمة من الأعماق إلى الجمهور

الفصل الأخير من مذكرات إسماعيل ياسين

... وبعد، فقد سجل الوجدان كل ما استطاع أن يذكره، عن حياة شاب هرب من بلدته (السويس) إلى العاصمة، لاسيما وراء أنوارها التي تبهر العيون، ولكن ليحترق بنارها حتى يكتوي، وحتى يكتمل عوده، وحتى يثبت بنيانه ليشق مسلكه بساعده، في طريق وعر شائك، ليصل بأمانيه إلى أرض الحقيقة.. فتحول عرقه إلى دماء تجري وتعطيه القوة.. وتحول دمعه إلى عطر منعش، يبث فيه النشاط والجلد ونشوة التعب.. فامتلأ قلبه بالإيمان وخاض المعركة، وناضل فيها، واستطاع أن يرى أحلامه واقعاً.. هي قصة حياة..

حياة فنان عاش في فنه وهو جائع شريد لا يجد لقمة العيش، ويبيت ليله في صحون الجوامع وعلى أرصفة الطرق.. ويعيش الآن لفنه، وقد جوزي في كفاحه خير الجزاء، فازداد إيماناً، وامتلأ قناعة... وفاض عرفاناً بالجميل.

نعم.... إنني أنحني احتراماً لجمهوري، الذي سعيت إليه حتى وجدني.. ولما وجدني رفعني.. أنحني احتراماً لجمهوري، وأذكر في فخر أنني كنت ألهث منقباً عن آحاد من الناس، لأقنعهم بأنني فنان وبأنني جدير بهم.. وهأنذا الآن أجد أملي في قلوب الآلاف، الذين أحبوني، لأني أحببتهم، وأحببتهم قبل أن يحبوني! قد لا أعرف الكثيرين ممن يشجعونني.. قد لا أعرفهم بالأسماء، والصفات والمهن.. ولكنني أعرف كل واحد منهم معرفة أوثق من صلات الاسم والصفة والمهنة.. إنني مرتبط بروح كل منهم، أننا نعيش معاً في نقطة التقاء واحدة، تظللنا سحابة واحدة.. سحابة شفافة بيضاء، هي السلام والنور.. سلام النفوس، ونور الحب. كلنا تجمعنا ذكريات واحدة، كلنا هزتنا وتهزنا الأيام، وتدفعنا من حيث لا ندري، إلى حيث لا ندري أيضاً..! كلنا مرتبطون بمعان واحدة.. نرى الخير بعين واحدة، ونعرف الشر بوجدان واحد. كلنا نخطو خطى كتبت علينا، ومن كتبت عليه خطى خطاها! كلنا يعيش بقدمين لا تبصران.. كلنا لا يختار حين يحب، ولا يحب حين يختار.. كلنا مع القدر حين ولدنا، وحين نعيش، وحين نموت.

وكثيراً ما يُهيأ لي، أن الفنان وجمهوره قلب واحد وزعت قطراته عليهما.. خفقة تقبضنا،

وخفقة تفرحنا.. وقد لا ندري لماذا انقبضنا، ولماذا فرحنا.. وقد تتجاوب بسماتنا ودموعنا.. بل قد تلقى – من حيث لا ندري – على بعضنا بسمات وعلى بعضنا دموع.. فنتبادل الحزن والبهجة.. وأن الدموع تغسل قلوبنا من الحقد والبغضاء والحسد.. والنكران.. والقلوب الصافية، لا تحتفظ برواسب في أعماقها.. ولا تكتم حتى عتاباً بينها.. ولهذا فإني أسمح لنفسي أن أواجه جمهوري الحبيب العزيز بكلمة عتاب.. وها هي بلا كلفة ولا حرج:

يا جمهوري.. إنك تبكيني دائماً مرتين.. مرة عندما تواجهني بإعجابك الشديد، ومرة عندما تواجهني بـ ... (لا أريد أن أقول).. عندما أستمع إلى عبارات التقدير والتشجيع من الجمهور أثناء عرض أحد أفلامي، أو أثناء ظهوري على المسرح.. يغلبني البكار.. بكاء الامتنان.. ثم أجد بعد ذلك عجباً. أكون راكباً سيارتي مثلاً في الطريق إلى الاستوديو لأواصل عملي المرهق الشاق، فإذا ببعض عبارات تكاد تخرق أذني، منها ما علق بأن الله قد وفر لي القدرة على شراء سيارة.. بل إن هذه العبارات تعني أنني قد سلبت ثمن السيارة من جيوب قائليها! فيغلبني البكاء.. بكاء الألم.. أنا مقدر أن هذا القليل الذي ينفعل بمثل هذا الشعور الأسود، هم بعض من ملأ الفشل قلوبهم بالحقد، واعتقدوا أن الكسل والتراخي والحقد تغني عن الجد والمثابرة والكفاح في سبيل النجاح... لا أيها الأخوة، إن السماء لا تمطر ذهباً للنائمين. والحياة لا ترحم من لا يخلص لحياته. اسألني أيها العزيز: كيف حصلت على هذه السيارة قبل أن تحقد علي لأنني أملك سيارة.

ولعلني قد بسطت في مذكراتي، كيف أستطاع الشاب الفقير أن ينقل قدمه من الرصيف إلى الترام إلى السيارة الصغيرة.. ثم إلى السيارة الكبيرة. أقول هذا لأدعو الجميع إلى العمل.. والمثابرة.. والمكافحة.. والمناضلة.. فالعمل اكسير الحياة، ومن لا يعمل لا يعيش.. علينا كلنا ألا نعيش عالة على المجتمع، بل نعول هذا المجتمع، ونرفع مستواه بعملنا.. وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

اذكروا، يا هذا القليل من الناس، أن المحافظة على النجاح، أقسى من الوصول إلى النجاح.. واذكروا أن الفنان لا يعيش من أجل نفسه فقط، ولكن من أجل غيره، لأنه إنسان. ويا من تداومون على إزعاجي بالتليفون بعبارات مؤلمة، قد تتسلون بترديدها، ولكن اعلموا أنها وخزات إبر في قلبي، الذي لا يستطيع إلا أن يحبكم.. إن الدول على مختلف نظمها السياسية والاقتصادية، قدرت الفنان، وهيأت له الحياة المريحة التي تهيئ له التقدم في فنه.. حتى الدول الشيوعية، التي تلغي حقوق الأفراد في الدولة.. اعترفت للفنان بحقه، ووفرت له المستوى المناسب له. والجمهور المصري، قدم للفنانين، كل التقدير والتشجيع.. ودفعهم إلى الأمام.. فلم لا تشعر القلة الحاقدة بشعور الغالبية الكريمة؟ أرجو ألا يكون عتابي أكثر من عتاب فقد قلت لكم إن القلوب الصافية لا تحتفظ برواسب في أعماقها.

بقى أن أتكلم عن فن المنولوج قبل أن أختم هذه المذكرات.. المنولوج ليس مجرد كلمات موزونة تلحن، وتلقى على الجمهور للتسلية أو الضحك أو قتل الوقت.. أن المنولوج لا ينجح ولا يصل إلى قلب الجمهور، إلا إذا كان له هدف.. يحمل فلسفة ساخرة.

هذا من جهة.. ومن جهة أخرى فيجب أن يكون المنولوج في أسلوب قصصي طريف، عامر بالمفارقات، ولكن الخطر كل الخطر، إذا تضمن المنولوج الواحد قصة واحدة، فإن سماعه- مهما كان تلحينه وإلقاؤه ممتازين – يصبح مملاً.. ولذلك فالمنولوج الناجح هو الذي يحوي في كل (كوبليه) قصة تختلف عن الأخرى في وقائعها وإن كانت تتفق في نفس الهدف.. حتى إذا لم تجتذب الجمهور القصة الأولى، اجتذبته القصة الثانية، وهكذا، وحتى يرضى المنولوج في مجموعه كل الأمزجة. وقبل كل هذا وذاك، يجب أن يكون إلقاء المنولوج واضحاً في مخارج ألفاظه بحيث لا تطغي الحركة على المسرح أو الموسيقى، على توضيح عبارات المنولوج، حتى يتفهمه السامع في سهولة ويتابعك في ترديده...

بقيت كلمة أخرى.. وهى من أعماق الأعماق.. إلى ولدي:

عندما تكبر يا ولدي.. قد أكون إسماعيل ياسين، وقد لا أكون، ولكنك ستحمل اسمي، وصيتي إليك ليست في مال أتركه، أو عقار تملكه ولكن في كلمة واحدة، تغني عن كل مال هي «الحب».. حب لنفسك ما تحب لغيرك.. امنح قلبك للناس، يمنحوك قلوبهم..

ولا تبتئس إذا فجعت في قلب أحد ولا تيأس إذا صدمت بجحود.. لأن القلب الأبيض يطرد القلوب السوداء، ولأن الحب دائماً وأخيراً هو المنتصر.

واذكر دائماً أن سلاح والدك في كفاحه الطويل، لم يكن مالا وجاهاً بل كان حباً.. حباً لفنه، ولجمهوره والحب إيمان، والإيمان نور، والنور يقهر الظلام. وشيء يجب أن تعلمه.. يجب أن يعمق في فؤادك، حتى يختلط بكل مشاعرك لا تقل إن أبي نجح بفنه فقط.. بل اذكر دائماً أن الجمهور هو صاحب الفضل الأول. اذكر دائماً يا ياسين أن السيارة التي تركبها، والسترة التي تلبسها، والطعام الذي تأكله، والمنزل الكبير الذي تعيش فيه.. اذكر دائماً أن الجمهور شريكك في كل هذا.. إن كل واحد من المعجبين بأبيك ساهم معه في تهيئة هذه الحياة الرغدة لك.

وأخيراً.. اعتمد على نفسك يا ولدي، وليكن شعارك الصدق والإخلاص..

إسماعيل ياسين وزوجته الثالثة فوزية

ضحك ولعب وجد وحب

الأسرة .. مودة ورحمة وذكريات

إسماعيل ياسين والإبياري.. ثنائية لن تتكرر

إسماعيل ياسين وتحية كاريوكا.. ثنائي فني جمعتهما بديعة مصابني

الإعلان عن فرقة إسماعيل ياسين

فرقة إسماعيل ياسين

في موسمها الصيفي بالاسكندرية

كل يوم حفلة واحدة ٩.٤٥ مساء

كل يوم رواية

من أقوى مسرحياتها الضاحكة

تأليف : ابو السعود الابياري

اخراج : السيد بدير - نور الشريف - محمد توفيق

عبد المنعم مدبولي - فؤاد المهندس

على مسرح اسماعيل ياس

طريق الجيش كامب شيزار تليفون ٧١٧٠٥

يشترك في التمثيل

اسماعيل ياس	محمد التابعي
زينات صدقي	مديحة كامل
فهيم امان	عبد الغني عمر
دكتور شديد	فايزة أنور
ماري منير	فيفي السيد
وائت فهيم	كوثر رمزي
إيلي حمدي	هدى عبده
عبد الله سيف	ابراهيم كامل
محمد شيان	احمد منير

وباقي ابطال الفرقة

برنامج فرقة اسماعيل ياسين من ١٦ يوليو الى ٣١ يوليو سنة ١٩٦٦

السبت ١٦ يوليو كنا س في حارة سيق	الاحد ١٧ يوليو انجوزت مرتي	الاثنين ١٨ يوليو ضهوري واحد اجازة	الثلاثاء ١٩ يوليو البنات في تعليم
الاربعاء ٢٠ يوليو سفير هاكا با كا	الخميس ٢١ يوليو الحبيب المضروب	الجمعة ٢٢ يوليو حكاية جواز	السبت ٢٣ يوليو جوزني بخمسة
الاحد ٢٤ يوليو سيدتي الجميلة	الاثنين ٢٥ يوليو ٣ فرخات وديك	الثلاثاء ٢٦ يوليو أنا عايزة سايبوني	الاربعاء ٢٧ يوليو كنت فين امباح
الخميس ٢٨ يوليو السنعايزة كده	الجمعة ٢٩ يوليو سفير هاكا با كا	السبت ٣٠ يوليو عايزين الى الابد	الاحد ٣١ يوليو يا الدفع يا الحبس

ترفع الستار كل ليلة الساعة ٩,٤٥ مساء

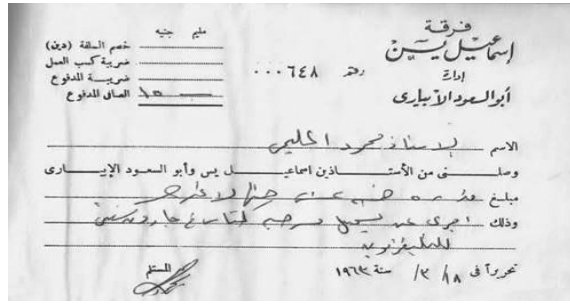

فرقة
إسماعيل ياسين
إدارة
أبو السعود الابياري

رقم ٦٤٨ ٠٠٠

مليم جنيه
خصم السلفة (دين)
ضريبة كسب العمل
ضريبة المدفوع
الصافي المدفوع

الاسم
وصلني من الأستاذين اسماعيل ياس وأبو السعود الإبياري
مبلغ
وذلك

تحرر في ٨/ ٢/ سنة ١٩٦٤

المستلم

فرقة إسماعيل ياسين.. دعاية وإعلان وإيصال استلام

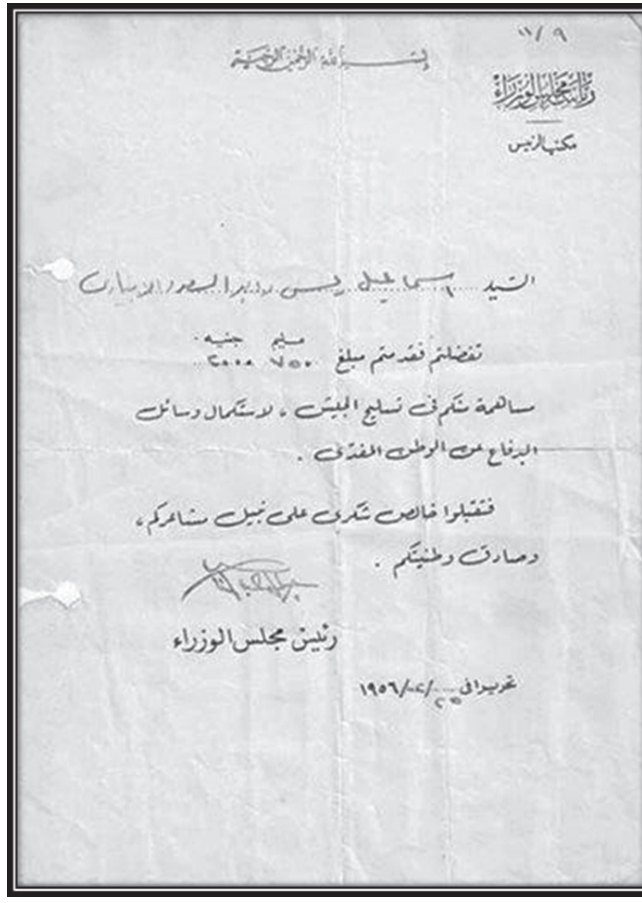

١١/٩

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

السيد / اسماعيل يس ... وأبو السعود الإبياري

تفضلتم فقدمتم مبلغ ٧٥٠ جنيه
مسلم ٢٠٠٠

مساهمة منكم في تسليح الجيش ، لاستكمال وسائل
الدفاع عن الوطن المفدى .

فتقبلوا خالص شكري على نبيل مشاعركم ،
وصادق وطنيتكم .

رئيس مجلس الوزراء

تحريرا في ٢٥/٨/١٩٥٦

خطاب شكر موجه من رئيس مجلس الوزراء بتوقيع جمال عبدالناصر لإسماعيل يس وأبوالسعود الإبياري على مساهمتهما في تسليح الجيش المصري ١٩٥٦

تقدير رسمي.. عبدالناصر وإسماعيل ياسين

تقدير شعبي.. والبركة في حب الناس

حوار إذاعي من كواليس إحدى الحفلات بحضور يوسف وهبي وثريا حلمي

بُقى العزيز!

بقلم
المنلوجست اسماعيل يس

المنلوجست اسماعيل يس صاحب أكبر «بق» في الوسط الفني ، وهذا «البق» هو سبب غيبته وشقائه في وقت واحد . فهو رأسماله الذي يتاجر به في عالم الكوميديا .. وهو موضع الفش والتريقة .. وروى اسماعيل هنا أطرف القفشات التي وجهت الى « بقه » العزيز

تريقة !

● كنت أغني بعض المنلوجات على مسرح في الاسكندرية ، فقال لي أحد المتفرجين هازئاً :

— يحسو أخوك في بقك !

● وقال لي آخر :

— لا أحسن عازه الناس استغفي في بقك !

● ومن أطرف القفشات التي فاجأني بها ذات مرة متفرج من أبناء البلد ، قوله لي :

— مرتاك لا ليجي نيوسك للازم تضحك .. مكتفان بقي فيها قد بقك؟!

محل جزارة !

● ووصف الدكتور ابراهيم ناجي لأحد مرضاه أن يأخذ دواءاً خاصاً ، وبأكل جزء رطلاً من اللحم المفر ، فقال المريض :

— لكن النهارده الاتنين ماجيش عليه !

وكنت واقفاً فنظر الدكتور الى « بقي » وقال :

— ما يهمش .. اجت خدلك رطل من شفة اسماعيل !

قفشات

● ومن القفشات التي لا أنساها قول أحدهم :

— بقك بزوايز على جنب !

وقول آخر :

— بتقولوا بقك بورشة هدوم !

وقول ثالث :

— في الصيف يعملوك في سقف الحمام ويعملوا بقك دش .. !

وقول مصور ظريف :

— بقك ١٨ × ٢٤ !

منلوج بقى

وهذه فقرات من منلوج خاص ببقى !

ليه يعايب الناس على بقى
وليه يقول أنا عليه بقى !
أنا جمال البقى لنساه
حتى ان كان يلمع ميت حتى

*

يا بقى جميل .. ولساه مفوق
عاوز الكراس
يا بقى فى ناس .. خياس خناس
بساع عضاس

*

بنت جنان تشبه هاى راى
بقى جميل على حتة بقه
واما تلوعى تقول لى ياكى
يلوعى تاكلى يا سيد قشطه

*

وبقى ده الشكل فوليل: عفى بجد؟
ولا سب بين ؟! عشق .. عشق
بس اسكت ما عاوش يا بقى

مقاله «بقى العزيز» بمجلة الكواكب ١٩٤٩

قائمة المحتويات

المقدمة 4

مجلة الجيل الجديد العدد ٩٦ في ١٩٥٣/١٠/٢٦ 8

مجلة الجيل الجديد العدد ٩٧ في ١٩٥٣/١١/٢ 13

مجلة الجيل الجديد العدد ٩٨ في ١٩٥٣/١١/٩ 19

مجلة الجيل الجديد العدد ٩٩ في ١٩٥٣/١١/١٦ 25

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٠ في ١٩٥٣/١١/٢٣ 32

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠١ في ١٩٥٣/١١/٣٠ 40

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٢ في ١٩٥٣/١٢/٧ 49

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٣ في ١٩٥٣/١٢/١٤ 55

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٤ في ١٩٥٣/١٢/٢١ 60

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٥ في ١٩٥٣/١٢/٢٨ 64

مجلة الجيل الجديد العدد ١٠٦ في ١٩٥٤/١/٤ 69

البوم صور 72